عذراء البحيرة

عذراء البحيرة

مجموعة قصصية

رائـــد قاســـم

اسم الكاتب: رائد قاسم
اسم الكتاب: عذراء البحيرة
تدقيق لغوي: شيرين عابدين
تصميم الغلاف: مروة صلاح
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – أغسطس ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 15583
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6645 – 70 – 7

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

إهـــداء

إلى كل من يراني ولا أراه...

وإلى كل من أراه ولا يراني...

أُهدي هذه الصفحات...

رائـــد

حميـــد

اليوم جنازة حميد، توفي في الستينات من عمره، مـن المفـترض أن أكون ممن يحملون نعشه إلى مثواه الأخير، لأنه كـان السـبب في انتقـالي لحياة جديدة مليئة بالرخاء والأمل، ولكني لا أستطيع، إذ لا تربطني به صلة قرابة أو صداقة أو حتى علاقة عابرة، لذا لا أملك إلا أن أمشي في جنازته وأحشر نفسي في الجموع الغفيرة التي جاءت لتشييعه، ولكن ما سرُّ علاقتي بحميد واهتمامي به!

...

قبل عدة أشـهر اسـتيقظتُ في يـوم عطلتـي وتحديـدًا في السـاعة الثامنة صباحًا على وقع رسالة نصية، تضايقت من هذه الرسـالة، فقـد كنت أريد أن أنام حتى الظهر، أمسكتُ بهاتفي المتحرك لأقرأ الرسـالة المزعجة فإذا هي من البنك تفيد بأنه قد أودع في حسابي عشرـة ملايـين دولار! طار النـوم مـن عينـي! عـش...رة ملاي...يـن د...و...لار!

مستحيل! استيقظت زوجتي متسائلة عن سبب استيقاظي في مثل هذا الوقت المبكر فأجبتها بأن رسالة شركة الكهرباء كانت السبب! وسوف أغلق الهاتف لأستأنف نومي! خلدت إلى فراشي مجدَّدًا، إلا أن النوم كان قد ذهب بعيدًا... بعيدًا، تقلبتُ في فراشي كثيرًا حتى مَلَّتْ زوجتي مني، فقررت مغادرة الفراش وشربَ كوبٍ من القهوة، قلت لنفسي-: إنه بالتأكيد خطأ وسوف يصحح، هذه أخطاء تحدث دائما، أنا مثلا قبل عدة سنوات أودعت في حسابي أكثر من خمسين ألف جنيه لمدة يومين ثم سُحبت بعد ذلك بهدوء، بالتأكيد هذا المبلغ سيعود إلى صاحبه، فقررت ألا أهتم بالأمر، حينها فقط عاودتني الرغبة في النوم فنمت بكل بساطة!

في الأيام التالية لذلك... كنت أراجع حسابي لأرى إن كان المبلغ قد غادره أم لا، غير أنه ظل كما هو! انتظرت أسبوعًا آخر فكان الحساب دون تغيير، حينها قررت مراجعة البنك لكي أبلغ عن تحويل مبلغ ضخم في حسابي بالخطأ! قطعت تذكرة المراجعة وانتظرت دوري ولكن ما إن قرب حتى كانت الهواجس تنتابني، إذ إن موظف البنك

سيبلغ الشرطة أو مباحث الأموال العامة ولن أغادر البنك لمنزلي بل لغرفة التحقيق وربما توجه لي التهم وتثار حولي الشكوك! قلت في نفسي سأسأله فقط عن مصدر المبلغ، ولكنه قد يشك في الأمر، إذ إنه من المفترض أني أعرف الشخص أو الجهة التي أودعت هذا المبلغ في حسابي، وربما يعمد إلى تأخير تنفيذ طلبي ريثما يبلغ الشرطة، حينها قررت مغادرة البنك بهدوء، أثناء عودتي إلى منزلي راودتني نفسي لسحب مبلغ بسيط من عشرة الملايين دولار! دخلت في صراع معها فغلبتني! توجهت إلى الصراف وسحبت مئة جنيه وكانت العملية ناجحة تماما! لم أعرف ماذا أفعل وكيف أتصرف! هل أحول هذا المبلغ إلى حساب التوفير وأحتفظ به أم أبحث عن مصدره لأرجعه إليه، قررت نقله إلى حساب التوفير مؤقتا، راجعت البنك وطلبت تحويل عشرة الملايين دولار من حسابي الجاري إلى حساب التوفير، لم يبدِ موظف البنك أي ارتياب، بل تعامل معي بشكل طبيعي تماما، فقررت انتهاز الفرصة ....

- هل يمكن أن تزودني بعنوان المحول للمبلغ لأني فقدته وأحتاج إليه؟

بعد إنهائه إجراءات تحويل المبلغ أصدر لي مستندًا يحتوي على بيانات المودع، ونادى على عميله التالي بكل انسيابية!

غادرت البنك فورًا وفتحت المستند، كان المودع حميد، رئيس مجلس إدارة الشركة التي أعمل فيها!

وبقدر ما فرحت كان الحزن ينتابني لأنه يجب عليَّ الآن أن ألتقي بهذا الرجل لأعيد له ماله، هذا هو واجبي وعلي أن أفعل ذلك، فقلت في نفسي سأذهب إليه غدًا لأنهي هذا الكابوس الجميل!

في اليوم التالي وبينما كنت مستغرقًا في التفكير بأمر الثروة وكيف أنها سترحل عني إلى الأبد، كانت نفسي توسوس لي بأن أبقيها بل بأن أحولها لبنك خارجي وأرحل، فهذا المبلغ سيجعلني غنيًّا وسعيدًا إلى الأبد؛ سأتمكن من شراء عمارة أسكن في إحدى شققها وأؤجر الباقي، وبعد ذلك سأتمكن من شراء عمارة أخرى، وهكذا سوف أعيش برخاء

إلى آخر عمري، في لحظة انقطع حبل أفكاري الوردية برنين هاتفي المتحرك...

- ألو أنت حسن؟

- نعم من أنت؟

- اسمعني جيدًا يجب أن أراك في أقرب فرصة، بل الآن إن أمكن.

لم أتردد في مقابلته، ذهبت على الفور للقائه في المكان الذي حدده، مقهى بوسط المدينة، كان رجلًا في منتصف الخمسينات من عمره، يرتدي حُلَّةً أنيقة، رحب بي بحفاوة رغم ما بدا عليه لاحقًا من قلة الكلام، وبعد أن شربنا القهوة بدأ حديثه...

- طبعا أنت تعرف لماذا أنت معي الآن بالرغم من أننا لا نعرف بعضنا مسبقًا؟

- تقريبًا.

- عشرة الملايين دولار يجب أن تعود لي.

- هل أنت حميد؟

- لا، أنا صديقه.

أحسست حينها بأنني واقع في مشكلة كبيرة، بل وسط صراع عات بين رجلين ولكني حافظت على هدوء أعصابي...

أنا أعرف أن هذا المبلغ ليس من حقي.

ممتاز! أنت رجل صالح، ولأنك كذلك سوف أكافئك بخمسين ألف دولار نظير أمانتك وشهامتك.

- نعم، ولكني لن أرجع لك المبلغ!

- ماذا!

حميد مَنْ حوَّل عشرة الملايين دولار إلى حسابي، وعليَّ أن أعيدها له، وسوف أفعل ذلك فورًا.

أنت تتحداني إذن؟

أنا لا أتحدى أحدًا، كل ما في الأمر أنك لست مَنْ حول هذا المال إلى حسابي لأرجعه لك.

انتهى لقاؤنا باحتقان، قلت له إلى اللقاء فلم يجبني بل وحتى لم يمد يده لمصافحتي، عدتُ إلى البيت خائفًا. لا أعلم ماذا سيكون منه

وماذا سيفعل؟ قررتُ الذهاب إلى حميد لإنهاء المشكلة، في صباح اليوم التالي استأذنت من مدير عملي وذهبت إلى مقر الشركة الرئيسي، طلبت لقاءه فقالوا لي بأنه مسافر ولن يعود قبل أسبوعين على الأقل، هذا إن لم يكن أكثر، حاولت معهم أن يزودوني بأي وسيلة اتصال به ولكنهم رفضوا طلبي، أخبرتهم أن الأمر ملح ومهم، ولكنهم أصروا على رفضهم، وأبلغوني أنهم سيخبرونه عن أمري حال عودته.

عدتُ إلى ممارسة حياتي الاعتيادية التي مرت أيامها ثقيلة، فقد كنت خائفًا من أن يُنفِّذَ ذاك الرجل تهديده لي، إلا أن أيامي ظلت هادئة.

بيد أنه بعد مرور عدة أسابيع بدأت تصلني رسائل ترغيب وتهديد! فقد بدا الرجل يضع لي رسائل تحثني على الإذعان لمطالبه تحت عتبة البيت! وعلى زجاج سيارتي! لم أستطع التحمل اتصلت به مهددًا بأني سوف أبلغ الشرطة فرد عليَّ ضاحكا!

- لماذا لم تبلغ الشرطة وإدارة البنك قبل اليوم؟ سيكون موقفك سيئًا، أنت الآن معنا في هذه اللعبة، انسحب بهدوء وأعطني المال واحصل على الخمسين ألف دولار وينتهي كل شيء.

قلت له سأفكر فيما تقوله، إلا أنه حذرني من مقابلة حميد، فتيقنت بأنه قد عاد من سفره فسارعت للذهاب إليه، إلا أنه لم يكن موجودًا! سألت سكرتيرته إذا ما كانت قد أخبرته بأمري فأجابت بأنها فعلت!

قررت أن أبلغ الشرطة لأخرج من هذه المشكلة، فلا أمل لي بامتلاك عشرة الملايين دولار، وأنا لا أريد أن أدخل نفسي في صراع بين شياطين المال.

عدتُ إلى البيت وقد قطعت وعدًا على نفسي بأن أخبر الشرطة وأنهي الأمر برمته، ولكني تلقيت اتصالا جديدًا ولكن هذه المرة من شخص آخر...

- أنا حميد!

انعقد لساني من المفاجأة ...

ما لك لا تجيبني؟

وما أدراني أنك حميد؟

ضحك بشدة...

اسمعني أنا من أودعت في رصيدك عشرة الملايين دولار.

وماذا تريد الآن؟

تعال لمقابلتي في فندق السعادة لنتحدث بشأن هذا المبلغ، سأنتظرك في الساعة التاسعة مساء في الغرفة رقم ٥٥.

أغلقت الهاتف وأنا في قمة قلقي، فأنا الآن في معمعة صراع لا أعرف مداه، في الليلة الموعودة كنت في محطة استقبال فندق السعادة، أخبرت الموظفين بأني على موعد مع الأستاذ حميد، فألمح أحدهم بالإيجاب وطلب من أحد العمال إيصالي لغرفته، حينها اطمأننت بأني عند حميد فعلا وأني في أمان، استقبلني حميد بالترحاب وأجلسني على مائدته العامرة بأنواع مختلفة من الأطعمة الفاخرة، اعتذر مني عن كل إزعاج سببه لي وتحدث معي بود...

- المبلغ يجب أن يعود بالطبع وأنا عندما أودعته في حسابك كان خطأ مقصودًا!

- خطأ مقصود! كيف ذلك؟

- كان علي أن أخفيه بأي طريقة حتى لا أضطر لدفعه لذلك المارق الذي يسعى للاستيلاء عليه من دون وجه حق.

- وما قصتك معه يا سيد حميد؟

- لا تشغل بالك كثيرًا.

- أتمنى أن تخبرني.

- سأخبرك باختصار، إن هذا المبلغ موجود في حساب الشركة التي كانت تجمعنا، وبعد تدقيق المحاسبين كان من نصيبي، وقد تنازل عنه بالفعل، إلا أنه عاد يطالب به مجددًا مدعيًا أني خدعته وأخذت أكثر من حقي، وهو الآن يريده بأي ثمن.

- لماذا؟

- لأنه خسر معظم ثروته في خلال الفترات الماضية، وهذا المبلغ يعني له الشيء الكثير.

- فهمت الآن.

- هذه حقيبة ضع فيها المبلغ وأحضره غدًا إلى هنا، سأكون قد حجزت لك غرفة بجانبي، سلمها للأمانات، وفي الليل أعطني إياها، وسوف أكتب لك إيصال استلام مختومًا بختم الشركة ومذيلا بتوقيعي، وسوف أعطيك مئة ألف دولار مكافأة لك وتعويضًا عن أيام القلق التي سببتها لك.

فرحت كثيرًا بلقائي مع الأستاذ حميد، كانت المئة ألف دولار مبلغًا هائلا بالنسبة إليَّ بل ثروة جاءت في وقتها، في اليوم التالي سحبت المبلغ كاملا وتوجهت من فوري إلى فندق السعادة، وضعت الحقيبة في الأمانات وذهبت لغرفتي المحجوزة مسبقًا، لم أستطع النوم فقررت قضاء اليوم في ردهة الفندق ومرافقه، في الساعة التاسعة ذهبت للقاء حميد، رحب بي كثيرًا، أخبرته بأني أحضرت المبلغ، فشكرني شكرًا جزيلا، كان العشاء جاهزًا، فاعتذرت عنه وطلبت منه الذهاب لإحضار النقود فلقد تأخرت عن زوجتي، فأجابني إلى ما أردت، ما إن هممت بالمغادرة حتى تلقيت ضربةً من غريمه قذفت بي نحو الأرض!

- الآن يجب أن نصفي حسابنا يا حميد، إما عشرة الملايين دولار أو تكون هذه الليلة آخر ليلة في حياتكما!

أجابه حميد بأنه إن فعل فلن يحصل على المال، إلا أنه رد عليه بأنه سوف يهاجم مكتب الأمانات ويستولي على المبلغ مهما كان الثمن، طلب منه حميد أن يتريث قليلا وأن يهدأ...

- حسنا، سيذهب هذا الرجل الطيب لإحضار الحقيبة.
- فليذهب ولكن إن لم يعد في خلال عشر دقائق فسوف أقتلك.

قلت لهما إني سآتي فورا بالنقود، فهي لا تهمني ولا أريد سوى العودة إلى منزلي سالمًا، ما إن أغلقت باب الغرفة متجهًا نحو المصعد الكهربائي حتى سمعت أزير الرصاص، فقرعت أجراس الإنذار على أثره، عدت فورًا إلى غرفتي متابعًا الأحداث من عدسة الباب، شاهدت العشرات من موظفي أمن الفندق يهرعون إلى غرفة حميد، ثم تدفق رجال الإسعاف والشرطة، بعد ساعة شاهدت المسعفين وهم ينقلون جثتين، تيقنت أنهما تعودان لحميد وغريمه، استلقيت على فراشي مرعوبًا، ولم أجرؤ على الخروج حتى الصباح، ومع شروق

الشمس تسللت بهدوء من غرفتي وكأن لا علاقة لي بما حدث، ذهبت لتناول طعام الإفطار في أجواء طبيعية تمامًا، انتظرت ساعة أخرى وقررت مغادرة الفندق، توجهت لإنهاء إجراءات المغادرة وطلبت حقيبتي، استمهلني الموظف عدة دقائق إلى أن جاء بها، كان قلبي يقرع بشدة، ولكن ما إن وضعت يدي على حقيبة العمر حتى حال بيني وبينها عميل شرطة سري!

- هل هذه الحقيبة لك؟

- بالطبع.

- هل سمعت إطلاق النار ليلة البارحة؟

- نعم، سمعت ولذلك قررت عدم الخروج من غرفتي.

- (بابتسامة) سلوك رائع ومسؤول، أتمنى أن يكون جميع الناس مثلك، فالبطولات الفارغة تورطنا في مشاكل نحن في غنى عنها.

- شكرا لك سيدي.

وبعد أن تأكد من اسمي وأنه غير مطلوب وأن الحقيبة تخصني سمح لي بالمغادرة، استقليت سيارة أجرة واتجهت من ساعتي إلى البنك حيث أودعت المال مرة أخرى في حساب التوفير، عدت إلى منزلي ثم إلى عملي ومارست حياتي العادية، بعد فترة... أُفرج عن جثة حميد وأعلن عن يوم جنازته، وها أنا ذا أشارك في تشييع الرجل الذي كان سببًا في سعادتي مدى العمر، عرفانًا بالجميل وردًا للمعروف.

سوف أُأَسسُ شركة استيراد وتصدير، وأشتري لي بيتا أنيقًا، وسيارة جديدة، وسوف أتصدق بصدقة جارية باسم حميد، وسأضع ما تبقى من المبلغ كوديعة في البنك، بعد عدة أشهر ستلد زوجتي طفلها الأول وسيكون ولدًا كما أخبرنا الطبيب، وإن صح ما يقوله فسوف أسميه دون شك حميد.

الحلم

يستيقظ قبل موعد رحلته بخمس ساعات، يمسك سماعة الهاتف ويداه ترتجفان...

ألو شركة الطيران الوطنية؟

نعم، تفضل.

أرجو إلغاء رحلتي على الطائرة المتجهة إلى العاصمة، وسوف أقوم بحجز رحلة أخرى فيما بعد.

حاضر يا سيدي، على أن تقوم بالحجز قبل الرحلة بعشر ساعات على الأقل.

ينهي المكالمة، يسترخي على الطقم الإيطالي الفاخر الذي يحتل حيزًا متميزًا في الجناح الذي يقطنه في أكبر فنادق المدينة ...

يطلب كوبًا من الشاي ليهدِئ أعصابه ...

ما هذا الحلم المزعج؟ أيعقل أن أحمله على محمل الجد؟ كلا، لا يمكن أن أكون بهذه الشخصية المهترئة.

يفتح صنبور الماء لينعش جسده بالماء الساخن، ثم يتناول الحبوب المهدئة التي أدمن على تعاطيها منذ سنوات، بعدها يخرج في جولة بالسوق المركزي، يعود إلى الفندق ليتناول طعام الغذاء، يفتح نافذة الجناح ويمدد رجليه متأملا المدينة المزدحمة في فترة المساء، يتلقى اتصالا من زوجته...

ألو نادر، لماذا لم تعد على رحلة هذا الصباح؟

لا تقلقي يا عزيزتي سأعود في رحلة الغد.

لِمَ؟

صدقيني لا شيء، استجدت بعض الأمور المتعلقة بالعمل، وسأنتهي منها في خلال الساعات القادمة.

يتصل بشركة الطيران طالبًا الحجز على رحلة صباح الغد المتجهة إلى العاصمة، ثم يقضي الليل في مشاهدة القنوات الفضائية وينام...

(برق يضرب برج اتصالات الطيران... الأمطار تتساقط بغزارة والرياح العاتية تقتلع الأشجار وأسقف مباني المطار... الطائرة يصيبها البرق فتشتعل فيها النيران وتهوي محترقة على الأرض).

يستيقظ مذعورًا، يغسل وجهه، يفتح جهاز التلفاز ويتابع آخر الأخبار، ولكن لا شيء غير عادي، ينتابه القلق، يتصل مرة أخرى ويلغي الحجز...

ألو نادر، لماذا لم تأتِ هذه المرة أيضًا؟

لا أعرف يا عزيزتي، ينتابني إحساس بأن أمرًا ما سوف يحدث.

مثل ماذا؟

لعل الطائرة التي سأستقلها ستسقط وسيموت جميع ركابها.

وما الذي دعاك لقول هذا؟

هكذا رأيت في المنام.

يا عزيزي إنها أضغاث أحلام ليس إلا، هل حدث مكروه للطائرة في المرة الأولى؟

لا.

إذن، ليس سوى حلم عابر سببه الإرهاق والقلق نتيجة المجهود الذي بذلته خلال أيام إقامتك وحيدًا في هذه المدينة، هيا احجز مقعدًا في رحلة الغد ودع عنك هذا الهراء.

حسنًا يا عزيزتي سأفعل ما تقولين.

يعود ليحجز مقعدًا في الرحلة القادمة، ولكنَّ الحلم يعاوده مرة أخرى...

(رياح عاتية وأمطار غزيرة، المطار تشتعل النار في أرجائه والناس تفر منه في مختلف الاتجاهات، الطائرة تهوي كنيزك نازل من السماء، والركاب يتساقطون منها والنيران تشتعل في أجسادهم).

يستيقظ من حلمه هذه المرة وأعصابه متماسكة وعلى ملامح وجهه الغضب، يتناول حبوبه المهدئة ثم يغادر الفندق ويستقل سيارة أجرة...

الطقس جميل هذا اليوم أليس كذلك؟

نعم يا سيدي، ولكني سمعت مذيع النشرة الجوية يقول إنه يتوقع هبوب رياح شديدة مع تساقط أمطار خلال الساعات القادمة.

غير معقول، السماء صافية تمامًا ولا أثر لأي سحب في الجو.

أتمنى ذلك يا سيدي.

يصل إلى المطار، الحركة اعتيادية والناس يمارسون حياتهم بنشاط وحيوية، فجأة تتلبد السماء بالغيوم وتهب الرياح، نادر ينتابه القلق، يسأل موظف الاستقبال:

هل سيتأخر موعد الإقلاع؟

لا يا سيدي ستقلع الطائرة في موعدها تمامًا.

يزداد قلق نادر، يلاحظ ذلك أحد موظفي الأمن ...

هل تحتاج إلى مساعدة يا سيدي؟

لا، شكرا! مجرد إرهاق بسيط.

يتوجه إلى الطائرة، يشعر بعجز في مواصلة المشي، لا يستطيع الاستمرار في صعود السلم...

- هيا، الطائرة ستقلع قريبا.

- لا، لا أقدر... لا أقدر.

يعود أدراجه ...

ما بك يا سيدي؟

أريد أن أقابل مدير الطيران للأهمية القصوى.

يرشده موظف الأمن لمكتب مدير الطيران ...

هل تريد أن نؤجل الرحلة من أجل حلم؟

صدقني أنا أشعر بأن الطائرة ستنفجر وستسقط على الأرض.

حسنا سيد نادر، لقد فتشنا حقائبك ولم نعثر على أي شيء يشير إلى ما تقصد، وفحصنا مرة أخرى محركات الطائرة فوجدناها سليمة تماما، وأعدنا تفتيش حقائب المسافرين فلم نعثر على أية محظورات من أي نوع كان، أمامك الآن خياران، إما ركوب الطائرة والسفر إلى مقصدك، أو أن تغادر المطار حالا وتأتي مرة أخرى عندما تهدأ أعصابك.

نادر لا يعرف ماذا يفعل، ولكنه يقرر على عجل الرجوع إلى الفندق.

يعود أدراجه ليسكن في الجناح نفسه، يتناول حبة مهدئة ويسلم نفسه للنوم العميق.

تضج مضجعه طرقات حادة ومزعجة، يفتح الباب بسرعة...

أنت المدعو نادر؟

نعم، من أنتم؟

نحن الشرطة أنت مقبوض عليك.

تصيبه صدمة وينتابه الذهول ...

لماذا؟

ستعرف!...

يقاد إلى غرفة مظلمة، يسلط الضوء المشع على وجهه، يفك قيده، يمسك المحقق بسيجار ويدخن بهدوء...

هل تدخن يا أخ نادر؟

لا، شكرا!

هل تعرف لماذا أنت هنا؟

لا، يا سيدي .

إن الطائرة التي كنت قد حجزت على رحلتها المتجهة إلى العاصمة في هذا اليوم تحطمت للأسف الشديد!

ماذا؟ غير معقول!

نعم هذا ما حدث.

لقد حذرت مدير الطيران ولكنه لم يقتنع.

سيد نادر كيف عرفت أن الطائرة سوف تتحطم؟

حلمت بذلك.

حلم! أنت تشكك في سلامة عقولنا أم ماذا؟

صدقني أنا أقول الحقيقة.

أي حقيقة يا نادر؟ أتقصد أن الحقيقة حلم؟

نعم.

ما هذا الكلام الفارغ، سوف تتحمل نتيجة هرائك.

تقيد أطرافه مرة أخرى، يقاد من تحقيق إلى تحقيق، يعرض على أطباء نفسيين للتأكد من سلامة عقله ومداركه...

في المحكمة:

أنت متهم بالمشاركة في تفجير الطائرة المنكوبة.

كلا، لم يحدث .

وعندما استيقظ ضميرك جئت إلى المطار في محاولة منك لإنقاذ الركاب، وحتى تنزه نفسك عن هذا الجرم المريع اختلقت حكاية الحلم. ما ردك؟

صدقوني... إنه حلم... حلم!

أثبت ذلك.

لقد ألغيت رحلتين من قبل للسبب نفسه.

كلام فارغ، الحقيقة يا سيدي القاضي ويا حضرات المحلفين، إن السيد نادر لم يتمكن من تهريب المتفجرات إلى الطائرة في المرتين السابقتين، ولكن عندما استطاع أحد شركائه تهريبها استيقظ ضميره فجأة وأنَّبه، فاختلق الأعذار والأكاذيب أمام مدير الطيران لكي لا تقلع الطائرة، إلا أن الكارثة التي شارك في صنعها قد وقعت، والجريمة التي هو أحد أطرافها قد ارتكبت.

كلا، هذا كلام غير صحيح.

أثبت ذلك يا سيد نادر، كل الأدلة ضدك.

إذن أين شركائي؟

سيتم القبض عليهم عما قريب.

كلا، أنا بريء وليس لي شركاء، لقد حاولت إنقاذ الضحايا ولو تم إيقاف الرحلة لما حدث أي مكروه لأحد... صدقوني.

اعترف يا نادر ... اعترف وسوف نخفف عنك الحكم إكرامًا لضميرك الذي استيقظ في الوقت الضائع.

أنا بريء ... بريء... بريء... صدقوني!

يذهب صوته أدراج الرياح ...

يحكم عليه القاضي بعشرين عامًا في السجن، ينظر نادر للقاضي وللمدعي العام ولأقرباء الضحايا ويقول لهم بصوت جهوري:

- أنا حاولت إنقاذ الضحايا، لقد كان حلمي رسالة لكم من العالم الآخر ولكنكم لم تصدقوني، وعوضًا عن ذلك اتهمتموني بما أنا بعيد عنه، سأرحل عن عالمكم المجنون، ولكن تأكدوا بأني سأظهر في أحلامكم، حتى يأتي اليوم الذي تفيق فيه الحقيقة من سباتها وتُعْلَنُ براءتي، وحينها فقط ستكونُ للأحلام قيمةٌ تضاهي حقائقكم المزيفة.

الأوهـــام

يسقط مغشيًّا عليه وهو في غمرة انشغاله بعمله، كـان ينتظـر ليلـة الخميس بفارغ الصبر؛ لعزمه إقامة حفلة عائلية بمناسبة مرور سنة على ولادة طفله الوحيد... يُنقَلُ على الفور للمستشفى ... يحقـن بمسـكن ويوضع عليه محلول التغذية ... يُفْحَصُ ضغطه وتُرَاقَـبُ دقـاتُ قلبـه بواسطة جهاز تخطيط القلـب... في غمـرة غيبوبتـه يـرى نفسـه راكبًـا جوادًا أسودَ سائرًا في أرض صـلبة والسـماء تـزداد احمـرارًا... الأرض تهتز بين قدميه فيسقط من أعـلى حصـانه... يفـتح عينيـه ليجـد نفسـه مستلقيًا على السرير الطبي ولكنه ما يزال ما بين الـوعي واللاوعـي .. يسمع الممرضات المحيطات به يتكلمن...

- مسكين سيموت!

- هل أنتِ متأكدةٍ من ذلك؟

- لقد قال لي الطبيب بأن أيامه معدودة.

- ألا يوجد ثمة أمل في شفائه؟

- لا، للأسف الشديد!

- مسكين!

- هذا قدره، لقد مرت علينا العديد من هذه الحالات.

تغادر الممرضات الغرفة... يستعيد وعيه تمامًا...

- مستحيل هل سأموت؟ وهل أيامي حقًّا معدودة؟

لماذا سأموت!

هذه أول مرة أكابد فيها المرض.

أيعقل أن تنتهي حياتي بهذه السرعة!

يضغط على زر المناداة ... تأتيه إحدى الممرضات...

- أطفئي هذا الجهاز.

- لا يا سيدي، أنت بحاجة إليه!

- أطفئيه قلت لكِ!

تنفذ الممرضة أمره، يطلب منها سرعة الخروج... يمشي بخطوات متأنيًا إلى شرفة الغرفة ليفتح النافذة بصعوبة، يتنفس الهواء العليل بعمق بعيون دامعة...

يا إلهي ما الذي جنيته حتى تخبرني بموعد موتي؟

لماذا لا أموت وأعيش في غفلة مثل باقي البشر؟

ماذا أفعل الآن؟

كيف سأستقبل عالمًا جديدًا لم أعهده؟

كيف سأصبح نفسا مجردة من جسدها؟

هل ستكون نفسي- هائمة في عوالم الغيب والمجهول أم أنها ستحظى بالسعادة والراحة الأبدية؟

يتطلع إلى السماء الزرقاء...

- أخبريني أيتها السماء كيف هو الموت؟

يبكي بشدة ثم يجلس على الأرض من شدة التعب والإنهاك...

- زوجتي لا بد أنها سوف تتزوج من شخص آخر!

يا للمرأة الغادرة، ولكن لو كنت مكانها لفعلت نفس الشيء فلماذا أتهمها بالغدر وعدم الوفاء؟ ما هذه النرجسية التي تعصف بي؟

إن لها الحق في الزواج والتمتع بمباهج الحياة فلماذا أمنح نفسي- حقًّا وأحرم الآخرين منه؟

وابني هل سيزور قبري أم أن أعباء الحياة ستنسيه أباه الذي بذل الغالي والنفيس من أجل سعادته؟ ولكن هل أنا في حياتي ملتزم بزيارة قبر والديَّ؟

لم أزرهما منذ أعوام مضت فلماذا أعاتب ابني إذن؟

أصدقائي بعد انتهائهم من مراسم دفني وجنازتي هل سيذكرونني ويقرؤون عليَّ دعاء المغفرة أم أن متاهات الحياة ستلهيهم؟

ستسيطر عليهم حتمًا الأنانية، لم أبخل عليهم بشيء في حياتي ولكنهم بعد موتي سينسونني كما ينسون قطعة أثاث مهملة في بيوتهم.

الناس هل سأبقى يا ترى عالقًا في أذهانهم؟ وماذا قدمت أنا للناس في حياتي؟ لم أكن منشغلا إلا بنفسي، لم أنظر يومًا للمعدمين الذين يعانون من شظف العيش، لم أنظر قط للمحرومين الذين

يكابدون الأمرين من أجل الحصول على رغيف الخبز، فلماذا إذن أطلب منهم أن يتذكروني ويرتلوا آيات الرحمة على روحي المعذبة؟

وماذا عن أهلي وأرحامي؟ في حياتي لم أعتنِ بهم بل لم أكلف نفسي عناء زيارتهم حتى في الأعياد والمناسبات فلماذا أطالبهم بعد موتي ببري؟

كم أنا أناني ولع بحب نفسي، لم أكن أهتم بالآخرين بل كنت دائمًا مكافحا من أجل مصالحي واليوم أطلب منهم مداراتي وأن يبكوا على فقدي!

يقف ليمشي بضع خطوات ويستلقي على السرير ليستأنف البكاء والإحساس بالندم... تدخل عليه إحدى الممرضات.

- هل أنتَ بخير؟

- أرجوكِ دعيني بمفردي، لقد عشت طوال حياتي وحيدًا، وأريد أن أقضي ما بقي لي فيها من أيام معدودة بمفردي أيضًا.

- لماذا تتفوه بمثل هذا الكلام؟

- إنها الحقيقة يا سيدتي، الحقيقة التي أواجهها للمرة الأولى والأخيرة في حياتي البائسة.

يدخل عليه الطبيب...

- أهلا بك كيف حالك الآن؟

كما ترى يا دكتور، أنتظر قدري المحتوم الذي لا مفر منه!

- أي قدر هذا؟

- الموت يا دكتور، أليس هو القدر؟

- نعم إنه قدرنا جميعًا فلماذا تنتظره أنت بالذات؟

- دكتور لا تحاول أن تحجب عني حقيقة ما أعانيه!

- أي حقيقة هذه؟ عما تتكلم يا سيدي؟

- حقيقة موتي القريب.

- من قال لك هذا الكلام؟

- لقد سمعت الممرضات يتكلمن عني.

تجيبه إحداهن قائلة:

- لم نكن نقصدك يا سيدي، كنا نتحدث عن شخص آخر حالته خطيرة جدًا!

- ماذا؟

- نعم ... لم تكن أنت المقصود!

- دكتور أحقًّا ما تقولون؟

- بالتأكيد، أنت لا تعاني إلا من إرهاق شديد سببه العمل المتواصل.

تظهر على ملامحه السعادة وتغمره الفرحة، يطلب من الممرضات بأن يخلصوه من سائل التغذية.

- على مهلك ما زلت متعبًا!

كلا، أنا بخير، أريد أن أزور ذلك الرجل المريض الذي يصارع الموت.

يذهب إليه، يجده مستلقيًا على فراش مرضه وأجهزة الإنعاش تحيط به من كل جانب... يقترب منه ويقبله على جبينه.

- من أنت؟

- أنا شخص يعرفك.

- تعرفني! كيف؟

- لا داعي لأن أجيبك أنت متعب الآن.

- أشعر بأني لن أعيش طويلا.

- لا تقل مثل هذا الكلام، سيكون كل شيء على ما يرام.

- هل يمكنك مساعدتي؟

- بالطبع.

- أريد أن تكتب خطابًا لابنتي.

- ابنتك!

- نعم، إنها تعيش في الخارج مع زوجها منذ سنوات طويلة، ولكنها تتصل بي كل أسبوع، وأنا الآن ملقى على هذا السرير -كما ترى- وليس بمقدوري التحدث معها.

- لا تقلق يا سيدي.

هل تريد شيئًا آخر؟

- لا أريد أن أزعجك.

- أرجوك أخبرني بما تريد.

- كنت أرغب قبل موتي أن أوكل أحدًا من أجل تحويل منزلي ملجأ للأطفال، طالما أن ابنتي من غير المتوقع أن تعود إلى هنا مرة أخرى.

- ولماذا تفعل ذلك؟

- وما قيمة الحياة إن لم نقم بأداء عمل يسعد الآخرين؟

ـ صدقت، لماذا يدخل الإنسان للحياة ويخرج منها دون أن يحدث أثرًا؟ لماذا نعيش من أجل أنفسنا فقط؟ لماذا لا نعمل من أجل أنفسنا والآخرين؟

يخرج من المستشفى وقد عاهد السماء على أن يكون إنسانًا آخر لا يعيش من أجل ذاته فقط، بل ليرسم البسمة على الشفاه الذابلة التي تعاني الحرمان والقهر والبؤس.

عذراء البحيرة

يستيقظ الأهالي على صراخ راعية الغنم...

يخرجون من مخادعهم وبساتينهم ومتاجرهم فيشاهدون الضحية الجديدة... رأسًا مقطوعًا... عينين مخرمتين.. أذنين مبتورتين... لسانًا يتدلى من الثغر الذي ينخر بالدماء... يدين مكسورتين ورجلين مقطعتي الأوصال....

تبكي النساء ويصرخ الرجال ليحيط بالقرية آهات حزن وولع رهيبين..

أحد الأهالي: إنها ضحية جديدة لهذه المرأة المتوحشة، ما عسانا فاعلين؟

ثانٍ: لقد أغلقنا كافة الطرق المؤدية إلى البحيرة، ورغم ذلك يغامر هؤلاء الشبان الطائشون بحياتهم من أجل الفوز بوصالها، ولكنهم لا يظفرون حتى بلمس واحد من أصابعها العشرة، وكل من خرج منهم بطلبها يعود جثة هامدة مقطوعة الرأس ومنزوعة الأمعاء.

ثالث: لا نستطيع سوى إعادة إحكام إغلاق الطرق ووضع لافتات تحذيرية، وإرشاد الأهالي، لا سيما الشباب إلى خطورة الذهاب إلى هذه البحيرة الملعونة.

يتوقف مسلسل القتل البشع قليلا إلا أن أهالي القرية يسمعون ضحكاتها الفاتنة ونداءاتها الغناء لتشعل ما في نفوس شبانها من أشواق ملتهبة وعواطف هائجة ورغبات جامحة ...

ماجد: لم أعد أحتمل هذه الأنثى، أريدها بأي ثمن وإن كان حياتي.

علاء: دعك منها، ستمل يوما وسترحل عن قريتنا.

- ألا تسمع صوتها العذب؟ ألا تشعر بدغدغات كلماتها المعسولة وتوسلاتها اللاهبة؟

- ولكن ما بعدها دقائق رعب قاتلة.

- لا يهمني ذلك، سوف أذهب إليها هذه الليلة، خاصة وأن القمر سيكون في أبهى صوره.

- لا تفعل أرجوك، إنك تحفر نهاية دامية لحياتك.

- بل قد عزمت.

في منتصف الليل يتوجهان إلى الطريق المؤدية للبحيرة... ضوء القمر ينير الطريق ويزيل وحشته وظلامه الحالك...

ماجد: ألن تكمل معي الطريق؟

علاء: كلا، هنا سأتوقف.

يسمعان نداء أنثويًا ساحرًا...

- تعال يا ماجد... تعال إنني بشوق إليك .

- إنها تناديني .

- أرجوك ارحم نفسك، ستقتلك لا محال .

-كلا إنها تدعوني، إنها تريدني أنا، لا يمكن أن أصدق أن هذا الصوت العاشق لقاتلة محترفة.

تناديه مرة أخرى:

- تعال يا ماجد إن ما بين فخذي في شوق إليك... تعال.

يهرول إليها تاركًا صديقه علاء وسط الطريق المظلم إلا من نور القمر... يناديه علاء بأعلى صوته ... يرجوه العودة لأمه وقريته إلا أنه يغيب عن ناظريه...

يعود علاء إلى بيته ويختبئ في سريره راجيًا أن لا يكتشف أحد أنه ذهب برفقة ماجد إلى البحيرة...

في الصباح يستيقظ على وقع نداءات أهل القرية، يسارع بالذهاب إليهم...

-ماجد أين أنت؟... ماجد أجبنا!

تسأله أمه...

- علاء، أنت صديقه المقرب ألا تعرف أين ذهب؟

- (بوجه شاحب) كلا. لم أره منذ يومين.

ثم يدير ظهره لها...

والدة ماجد:

أخشى أنه ذهب إلى البحيرة!

يلتفت إليها قائلا:

لا أعلم.

تنهمر دموعها ثم تذهب لمواصلة البحث عن ابنها.

يدخل غرفته باكيًا...

- يا إلهي ما حدث لك يا ماجد؟ هل أصبحت أشلاء؟ لماذا لم أمنعك؟ لماذا لم أخبر أهالي القرية عما تنوي فعله؟ إن قتلتك هذه المرأة فسأكون شريكها في قتلك.

**

يذهب علاء إلى كبير القرية ...

- آن الأوان أن تخبر الناس عن سرِّ هذه البحيرة وعن سر هذه المرأة التي تقتل كل من يقترب منها.

يطأطئ كبير القرية رأسه للأرض...

أخبرنا ما سرُّ هذه البحيرة الملعونة؟ أليس لنا الحق في أن نعرف؟

يلوذ بصمته...

- أخبرني أرجوك، لقد فقدت اليوم أعز أصدقائي وأمس وقبله وما سبقه فقد أهالي القرية عددًا من خيرة الشبان .

يقف بثبات بعدما عادت له رباطة جأشه...

- استمع إليَّ يا علاء... قبل أكثر من خمسين عامًا قُتِلتْ فتاةٌ عذراء ظلمًا على شاطئ هذه البحيرة.

تنتاب علاء صدمة عارمة من كلام كبير القرية...

-كيف قتلت ولِمَ؟

-كانت إحدى أجمل الفتيات في قريتنا، في يوم ما قد انتابها مرض غامض، أدى إلى انتفاخ بطنها، فظن شقيقها أنها حبلى، فقرر القضاء عليها وقتلها على ضفاف البحيرة في ليلة قمرية، ثم رماها في مياهها، وعندما طفت جثتها انتشلها الأهالي وتبين لهم أنها لم تكن كذلك، ومنذ ذلك الحين ظهرت لنا هذه الشيطانة الرجيمة وأصبحت تقتل شباب القرية بين الفينة والأخرى، وأضحت هذه البحيرة التي كنا ننتفع بسمكها ونتنزه في مياهها مكانًا ملعونًا لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه، إلا من هؤلاء المغامرين الذين تتفنن في قتلهم.

يغادر علاء منزل كبير القرية متعجبًا مما سمعه منه، يحاول النوم دون جدوى، يخرج من مسكنه باتجاه الطريق المؤدية للبحيرة...

- أين أنت يا ماجد هل أصبحت في عداد القتلى؟

يصرعه النوم في الطريق ....يحلم بفتاة ممشوقة القوام... بيضاء كالثلج، شعرها الأسود الغجري ينساب كجداول مياه صافية ليغطي جسدها الساحر...

-أين ماجد هل قتلتِه؟

-كلا، ليس بعد، إنه ليس كغيره.

- ماذا تقصدين؟

- عندما أهم بقتل أحدكم أشمه. فإن كان ذا نفس دنيئة قتلته فورًا، أما إن كان ذا نفس زكية أفكر مليا قبل أن أقتله وربما عفوت عنه.

يستيقظ من نومه صباحًا ليرى أشلاء آدمية مقطعة... يصرخ صراخًا مجلجلا...

يقبل عليه بعض أبناء القرية فيشاهدون رأسين مقطوعين، وجثتين دون أطراف، والكلاب قد نهشتها وبقرت بطونها، والهوام تتغذى على دمائها السائلة ...

ينقل الأهالي الأشلاء إلى المقبرة ومشاهدها المروعة لا تغيب عن مخيلتهم، تجتاحهم أجواء حزن وأسى ليس لها نظير، مصدرها مسلسل قتل دموي مجنون...

يستلقي علاء على فراشه، وقد تمكن منه اليأس إلا أنه يسمع صوتًا طالما تمنى سماعه ...

- علاء أنا ماجد أجبني إن كنت هنا.

يسارع إلى فتح نافذته فيرى صديقه ماجد، يهم إليه معانقًا ومباركًا له على سلامته ...

- لم تقتلني يا علاء، لقد تمكنت من النجاة.

- أخبرني ماذا جرى لك بالضبط؟

- لقد رأيتُها، إن جمالها أكبر من الحلم وفوق المستحيل، إنها أجمل مما يمكن أن يتصوره إنسان، لا أستطيع أن أتخيل للحظة أن هذه المرأة الفاتنة من الممكن أن تكون قاتلة محترفة تقتل ببشاعة ليس لها نظير .

- خذني إليها.

- أرجوك لقد رحمتني أنا ولكن قد لا ترحمك أنت.

- هيا بنا.

- ربما تموت يا صديقي.

- لا بد أن أراها مهما كلف الأمر.

في منتصف الليل يتوجهان إلى البحيرة ... يسمعان ضحكاتها الغانجة...

- اقترب يا علاء، ادنُ مني، إن نهدي مشتاقان للمسات أصابعك الحانية .

يتصبب العرق من جبين علاء، بينما يتجمد ماجد في مكانه وكأنه فقد القدرة على الحراك... يقف علاء بصعوبة بالغة على ضفاف البحيرة، يلمح فتاة هائلة الجمال أضاء القمر جسدها العاري وهي تضحك ضحكات متناغمة مع الهواء العليل لتضفي أجواء من النشوة العارمة...

- أنتِ التي قتلت كل هؤلاء؟

- (بابتسامة ماكرة) أنا من فعلت ذلك يا علاء، أنا من قتلتهم وسوف أقتل المزيد منهم.

- أيعقل أن يختبئ الشيطان في صورة ملاك؟

- (باستعلاء وزهو) انظر إليَّ يا علاء، ألا تريد امتلاك جسدي الغض هذا؟

- لا يوجد رجل على سطح هذه الأرض لا يرغب بك؟

- أنا الآن عارية أمامك ولكنك لا تستطيع لمس ظفر من أظفاري، أليس هذا أمرًا مؤلمًا؟

يزداد علاء ضعفًا ووهنًا...

- تعال يا علاء، اظفر بجسدي، إنه لك وحدك في هذه الليلة القمرية الصافية.

يتصبب العرق من جبينه بغزارة.. تنتابه الرغبة الجامحة .. تقترب منه قليلا فيرى تفاصيل جسدها الذي انعكس عليه ضوء القمر لتتحول إلى حورية من رياض الفردوس...

ترقص في وسط مياه البحيرة على نور القمر وأشعة النجوم ونسمات الهواء المنعشة... تقترب منه أكثر، بينما يظل واقفًا وكأنه ينتظر لحظة وصال شبقة...

ماجد: كلا، يا علاء، ابتعد عنها فورًا.... ستقتلك يا صديقي.

تقترب منه أكثر... يفيق من سكره على وقع حجر يصيب رأسه... يلتفت خلفه فيرى صديقه ماجد وهو يناديه بأعلى صوته... تقترب منه بشدة وهي ترقص رقصة الموت... يتمالك نفسه ويهرول بعيدًا باتجاه ماجد، يمسكان بعضهما ببعض ويفران بعيدًا لينجوا بحياتهما، بينما تختفي العذراء بعد أن تصرخ صرخة مدوية وكأنها تنهي حفلة دم لم يكتب لها النجاح...

يقرر الأهالي ردم البحيرة لتزول لعنتها وتدفن فيها العذراء إلى الأبد.

عفوًا سيدي الرجل

يتأمل وجهها... يتلمس شعرها ... يتحسس صدرها وثدييها...

ينهض من فراشه ويتنفس الصعداء...

- من بين مليارات النساء ليس لي إلا واحدة.

سرعان ما تستيقظ هي الأخرى، فتراه واقفًا بنشاط غير معتاد...

- يبدو أنك اليوم في كامل حيويتك.

يتقدم إليها ويحتضنها قائلا:

- لا تنسي أنني أكملت للتو أقساط المنزل وأصبح ملكًا لي بعد أكثر من خمسة عشر عاما من المعاناة.

- (بابتسامة) لا تنسَ يا حبيبي أني ساعدتك بالمال.

- لم ولن أنسى فضلك، وما دفعتِه دين سوف أسدده.

تغادر سريرها، ترتدي ملابسها وتحضر طعام الإفطار على عجل...

يتأملها وهي تتناول الطعام...

- عادل ما بك تنظر لي هذه النظرة الغريبة؟

- (بابتسامة) تبدين اليوم جميلة أكثر من اللازم.

- أنت اليوم على غير سجيتك.

- عندما يكون المرء مشغولا بأمور ضاغطة تغيب عنه الكثير من الأشياء الجميلة ويحجب عن بصيرته الكثير مما يحتاج إليه في حياته.

- بعد البيت لم تعد بحاجة إلى شيء، سوى أن تبدأ بالادخار.

- سأعمل على ذلك طبعا ولكن بعد إنهاء بعض الأعمال.

- مثل ماذا؟

- سأسدد لك حقك، وأشتري سيارة جديدة، وأجدد بعض الأثاث، وأمور أخرى مشابهة.

- عزيزي لا تسرف، لست في حاجة إلى كل هذا.

- هذه هي طبيعة الإنسان، يتوق للتغيير والتجديد على الدوام ولا يقبل بما بين يديه وإن كان الأفضل.

يرن هاتفها المتحرك...

- حسنًا عليَّ الذهاب الآن، لقد وصلت زميلتي حنان.

تقبله وتذهب...

- سعاد أنت زوجتي الحبيبة ولكن تأكدي من حقيقة مطلقة أن الرجل لا تكفيه امرأة واحدة وإن كانت حورية من الجنة.

**

تسير حياتها بمسلكها المعتاد حتى إجازة الصيف...

لا أستطيع السفر هذا العام يا عزيزتي.

عجيب أمرك، كنت تسافر طوال الخمسة عشر عامًا الماضية رغم أنك كنت تسدد أقساط المنزل وعلى كاهلك الكثير من الالتزامات.

ذاك هو القلب يا حبيبتي، يتقلب ما بين إقبال وإدبار وحب وكره.

إذن ستسمح لي بأن أسافر برفقة بعض صديقاتي؟

(بابتسامة) بالطبع، لا أستطيع حرمانك من ذلك.

تحزم أمتعتها ... ينقلها إلى المطار ... يرافقها حتى إنهاء إجراءات سفرها ثم يعانقها بحرارة...

يتأملها وهي تمضي برفقة صديقاتها.. ينظر إلى النساء من حوله بنشوة قائلا:

من قال بأن كل النساء سواء؟... إنهن متطابقات في الخلقة ولكنهن مختلفات في الطبائع والصفات.

وليس كل امرأة مثل الأخرى، ولن ينفعني أن أنظر إلى زوجتي لأكتفي من النساء، إنها طبيعتي فلماذا أكبتها وأتحمل أوجاع الرغبة الجامحة؟

**

تقضي سعاد ثلاثة أسابيع جميلة في سفرها، تعود إلى الوطن من دون أن تخبر عادل فقد كانت تريد أن تكون عودتها مفاجأة له... توصلها صديقاتها إلى منزلها.. يشاهدن مصابيح تزينه ...

- هل عندكم زواج يا سعاد؟

- زواج!

- مصابيح الزينة تضيء منزلكم من كل الجهات.

- يا إلهي ما الذي يحدث؟

يجلب السائق أمتعتها إلى باب المنزل... تحاول سعاد فتح الباب لكنها لا تستطيع...

ما الذي يجري؟ لا أستطيع فتح الباب!

يفتح الباب فجأة لترى عادل أمامها ...

- سعاد!

- عادل!

ترتمي في حضنه...

عادل زوجي الحبيب، هل أنت بخير؟

(باضطراب) أنا بخير، لِمَ لَمْ تخبريني بموعد عودتك؟

أردت أن أجعلها مفاجأة لك، ولكن ما كل هذه الزينة؟

يتمكن الصمت من عادل ...

سعاد تنتظر منه إجابة...

عادل.. لِمَ أنت صامت هكذا؟

فجأة تنزل امرأة من الطابق الأعلى... تشاهدها سعاد باندهاش...

من هذه المرأة يا عادل؟

إنها...

إنها من!

تتقدم نحوها بثبات...

- أنا زوجته سميرة.

- مستحيل!

تتجمد سعاد في مكانها من هول الصدمة... تتابع صديقاتها ما يحدث لها وهن في صمت مطبق...

- أحقا ما تقوله هذ المرأة يا عادل؟

ينظر لها بابتسامة خائفة...

نعم يا حبيبتي، إنها زوجتي الثانية والأخيرة، مثلما أنت زوجتي الأولى.

تسقط مغشيًا عليها، يحملها عادل من فوره إلى غرفة نومها، ثم يحضر لها الطبيب الذي يأمر بتنويمها في المستشفى...

تستيقظ من غشيتها.. تجد نفسها في المستشفى، ووالدتها وأشقاءها يحيطون بها ...

الحمد لله على سلامتك يا بنيتي.

تنظر لهم والدموع تنهمر من عينيها...

تحتضنها والدتها...

- لا بأس عليك يا حبيبتي ما حصل قد حصل.

-(ببكاء) لِمَ فعل ذلك؟ ما الذي جنيته بحقه؟

- الرجال دائمًا وأبدًا لم ولن يتغيروا، ما إن يحصلون على المال حتى يتزوجوا بأخرى... عيونهم الجامحة لا يمكن لأي امرأة أن تملأها أبدًا.

يتركها الجميع لترتاح...

تتعافى سريعًا وبعد عدة أيام تجتمع العائلتان في منزل عادل...

إما أنا أو هي!

هي زوجتي وأنتِ زوجتي، ستسكنين في عين، وستسكن هي في العين الأخرى.

كلام فارغ، أنت غدرت بي ونسيت تضحيتي من أجلك.

ليست تضحية بل واجب، كل امرأة عليها أن تقف إلى جانب زوجها.

حرمت نفسي من الأطفال من أجلك، أتنكر؟

لا أنكر، ولكنك أنتِ من اخترت ذلك بكامل إرادتك، وأنا لم أكن لأرغمك عليه أو أظلمك بأي شكل.

تتزوج عليَّ وتقول لم تظلمني!

لأنني مارست حقًّا مشروعًا لي.

أي حق هذا؟

لا أنا ولا سميرة ظلمناك قيد أنملة.

ما وجه تقصيري معك؟

الأمر ليس تقصيرًا، بل احتياج.

بل هو ظلم واعتداء منك عليَّ.

كلا، لم أعتدِ عليك ولم أظلمك، عندما تزوجنا كنت تعلمين بأن لي الحق في الزواج عليك ثلاث نساء أخريات بموجب عقد الزواج الذي بيننا، ولم تعترضي ولم تسعي إلى إلغاء هذا الحق.

تلوذ بالصمت...

اشترطتِ عليَّ إكمال دراستك، والسماح لكِ بالعمل والسفر بمفردك، وأن تسكني في منزل مستقل، ولم تشترطي ألا أتزوج عليك.

قولي بأن هذا لم يحدث؟

يصمت الجميع...

ينظر عادل للجميع بغضب ويخاطبهم قائلا:

- ما الذنب الذي ارتكبته ليحل غضبكم عليَّ جميعا؟ من حقي أن يكون لي زوجة أخرى ومن حقها -يشير إلى زوجته الثانية سميرة- أن يكون لها زوج تعيش معه وتهنأ به.

ثم يلتفت إلى سعاد..

- وأنتِ يا سعاد لن يتغير عليك شيء البتة، ستظلين زوجتي وحبيبتي الأولى.

يقف شقيق سعاد متكلمًا:

ولكنها أقرضتك مبلغًا ضخمًا من المال لبناء هذا المنزل، أتنكر؟

لا، لا أنكر.

وبدلا من تسديده لها تزوجت عليها، على الأقل سدد دينك، ثم افعل ما تشاء.

تقف سعاد بقوة وثبات ...

- حسنًا اكتب لي نصف المنزل.

- ماذا!

- ألم أساهم معك بأربعمئة ألف ريال؟

ينتابه الصمت ويتطلع إلى وجوه من حوله بحيرة وشتات...

ما بالك يا زوجي الحبيب صامتًا هكذا؟ لِمَ لا تجيب؟

ينظر إلى زوجته الثانية تارة ثم إليها تارة أخرى...

- وماذا إن فعلت ذلك؟

- ستكون قد وفيت لي بحقي وما ظلمتني.

- حسنا، لكِ هذا، سأكتب لكِ نصف المنزل ليسقط دينكِ عني إلى الأبد.

- اتفقنا، سأكون أنا في الطابق الأرضي وهي في الطابق الثاني.

- (بتأفف) حسنا موافق.

ينفض الاجتماع... ترجع سعاد إلى منزل أهلها، بينما تعود سميرة مع عادل إلى غرفتهما في الطابق الثاني...

- ما الذي فعلته! كيف تكتب لها نصف المنزل هكذا بكل سهولة؟

- المنزل بـــ ٨٠٠ ألف ريال، وهي دفعت نصف هذا المبلغ فعلا.

- ولكن!

-ولكن ماذا؟ هذا حقها.

- أخشى من عواقب هذا الأمر.

- أي عواقب؟ سيكون لي الطابق الثاني وهي الأرضي، وبهذا نكون قد تراضينا، والأرض مناصفة بيننا، أما أنتِ فسوف أصنع لك مدخلا مستقلا وأغلق السلم الواصل بين الطابقين، فلا ترينها ولا تراك بل لن تشعري بوجودها إطلاقا بعد ذلك.

- أتمنى أن يكون كل شيء على ما يرام .

**

تظل سعاد في منزل أهلها إلى أن يفي عادل باتفاقه معها، إلا أنها تظل معتكفة في منزل عائلتها...

يحاول عادل إقناعها بالعودة...

- سعاد، لقد نفذتُ ما اتفقنا عليه فلمَ لا تعودين؟

- لا أزال مجروحة مما فعلت!

- الذي حدث قد حدث، لن يتغير شيء في الكون، ولم ينتقص منك أي حق، عودي إلى بيتك رجاء!

تعود سعاد على مضض... يحاول عادل التقرب منها إلا أنها تظل معرضة عنه ...

- سئمتُ إعراضَك وجفاءك! ما الذي حدث لكي يخرج منك كل هذا الجفاء الدفين؟

ما أنا إلا رجل عادي، لست وزيرًا ولا أميرًا لتتمسكي به وتسعي للاحتفاظ بي لنفسك! لستُ مِلكًا لك أو لغيرك أتفهمين!

صَمْت...

- ما بالك صامتة هكذا؟ أوعيتِ ما قلته لكِ أم لا؟

تقف بـــحماس...

عادل، طلقني!

يرتسم الذهول على وجهه ...

هل أنتِ مدركة ما تقولين؟

تجيبه بوجه غاضب...

- إنني أعي ذلك جيدا.

- أكُلُّ هذا لأني تزوجت امرأة أخرى!

- أنتَ مارست حقًّا من حقوقك وأنا الآن أمارس أيضا حقًّا مـن حقوقي.

- حسنًا... ومن حقي ألا أطلقك.

- لا، ليس من حقك أن تبقيني زوجة لك رغمًا عني، كما أنه ليس لي أن أظل زوجتك رغمًا عنك.

- حسنًا، افعلي ما تشائين.

يدخلان في دوامة من الجلسات والمرافعات حتى يحكـم القـاضي لها بالطلاق في نهاية الأمر...

يغلق عادل المدخل الذي يربط الطابقين لكي لا يلتقي بطليقته...

تمر الشهور ثقيلة عليه ...

سميرة: أما زلتَ متأثرًا مما حدث؟

عادل: ما حدث قد انتهى أمره، سأتقدم بطلب إجازة لنسافر، ما رأيك؟

- موافقة طبعًا، فبعد كل ما جرى نحتاج إلى راحة عاجلة.

يسافران ليقضيا مدة في الترحال والاستجمام... بعد مرور شهر يعودان أدراجهما بعد أسابيع قضياها في أكثر من بلد ...

سميرة: ما هذه الزينة التي نشاهدها!

عادل : أمر غريب حقًّا!

يقف عادل أمام البيت وهو في قمة اندهاشه...

- ما الذي يحدث؟ ما كل هذ الأضواء المبهرة!

يخرج إليه شقيق سعاد...

يبادره بالسؤال ...

- أنت! ما الذي يحدث هنا!

ينظر له بصمت...

- أجبني!

- سعاد!

- (بغضب مستطير) ما بها؟

- تزوجت!

- (بذهول) ماذا!

ينتابه الصمت من هول الصدمة...

تدنو منه سميرة...

- عادل ما دهاك؟

يتهاوى إلى الأرض إلا أن سميرة تمسك به...

ينظر إليها تارة وإلى شقيق طليقته تارة أخرى ثم يغمى عليه...

يستيقظ من غفوته لينظر في وجوه الجميع باستغراب ثم يضج ضحكًا هيستيريًّا وهو يردد:

- زوجتي تزوجت!

سميرة: ما الذي دهاه يا دكتور؟

الـدكتور : إنهـا صـدمة عصـبية بسـيطة، سـأكتب لـه مهـدئات وسيكون عـلى مـا يـرام، ولكـن إن لم يسـتفد منهـا لا بـدَّ أن ينقـل إلى المستشفى دون إبطاء.

تمر أيام طويلة وثقيلة قبل أن يسترد عادل عافيته...

سميرة: علينا أن نغـادر هـذا المنـزل يـا عزيـزي، لا بـدَّ أن تبيعـه لنرحل من هنا.

يستمع إليها بهدوء...

فجأة... يسمعان دقات جرس الباب...

يذهب عادل لفتحه...

- مرحبًا!

- أهلا.

- أنا جارك.

- جاري!

- نعم أنا الذي أسكن في الطابق الأرضي من هذا المنزل!

- أنت...!

- نعم أنا هو!

- (بغضب) ماذا تريد؟

- في الحقيقة أيها الجار العزيز جئت أعرض عليك أن أدفع لك مبلغًا من المال نظير شراء حصتك من الأرض والعقار.

- تبًّا!

- إنها رغبة زوجتي وأنت تعلم كيف تكون المرأة إذا رغبت في أمر.

- الويل لك! أنت تتحدث عن امرأة كنت أنام معها في فراش واحد وأعرف تفاصيل جسدها أكثر منك.

- أرجوك احفظ لسانك أنت تتحدث عن زوجتي!

- زوجتك!

- نعم، كانت زوجتك وهي الآن زوجتي.

- الويل لك!

تتقدم منهما سعاد مرتدية نقاب تظهر منه عينان مكحلتان وعباءة مزركشة يشم منها رائحة عطر نفاذ ...

ينظر لها عادل في ذهول...

- أرجوك احفظ أدبك بحضور عقيلتي!

يتطلع له عادل بحقد...

تتحدث سعاد بغنج ودلال...

- حبيبي! هل اتفقت مع جارنا؟

- كلا! ليس بعد.

ثم يلتفت إلى عادل...

- اسمع أيها الجار، سندفع لك نصف مليون ريال مقابل حصتك، ما رأيك؟

يعرض عادل عنه...

- ماذا قلت يا أخ عادل؟ إننا نريد تملك العقار بأكمله لنضمن مستقبلًا أفضل لأبنائنا!

- أبناؤكم!

- نعم فزوجتي حملت منذ الأسبوع الأول لزواجنا!

يسقط عادل على الأرض ... ينقل على عجل للمستشفى لتلقي العلاج... لا يستطيع تحمل بقاءه قريبًا من سعاد... يبيع نصيبه من المنزل ليرحل بعيدًا عنها، إلا أن عباءتها المزركشة، وعينيها المكحلتين لا تزالان تعصران في قلبه حرقة الفراق وتشعلان فيه نار شوق لا ينطفئ.

شقشقة

كعادته في صباح أيام عمله، يتكئ على مقعد سيارته وينتظر تسخين محركها للذهاب إلى مقر وظيفته بوسط المدينة... سرعان ما يشعل سيجارته الأولى متأففًا...

- لقد غدا هذا الشارع مزدحمًا ومقرفًا! حتى الحافلات الكبيرة بدلا من أن تركن في المواقف المخصصة لها يوقفها سائقوها في الشوارع العامة وتمر عليها دوريات المرور دون اكتراث!

يدخن سيجارته ويمضي ببرود نحو روتينه اليومي ... تتصل به زوجته على غير عادتها، إلا أنه يتجاهلها قائلا:

- ماذا تريدين أن أفعل لكِ؟ الزحام شديد وأي خطأ سيوقعني في حادث شنيع، لِمَ لَمْ تنهي كل طلباتك قبل مغادرتي!... يا للنساء المتعبات!

رنين هاتفه لا يتوقف... يمسكه بيده إلا أن سيارة مسرعة تتجاوزه عن يمينه ...

- من الذي أعطاك رخصة قيادة يـا هـذا؟ ألا تعلـم أن التجـاوز ممنوع من اليمين! تبًّا لك ولهذا الهاتف اللعين! ولشرطة المرور أيضا!

يدخل هاتفه في جيبه ...يقف متململا في انتظار فتح الإشارة التي تنظم السير في التقاطع الكبير...

أكثر من عشر سنوات منذ أعلن الرئيس الملهم مشروع القطارات الأرضية إلا أن الأموال التي رصدها للمشروع ذهبـت دون شـك إلى جيبه النهم وأرصدة عائلته وحاشيته التي لا تمتلئ أبدًا!

بعد انتظار طويل يتمكن من استئناف خط سيره... يشاهد صورة كبيرة للرئيس...

- لا أعلـم لِمَ أنـت رئيسـنا؟ بـأي حـق تحكمنـا وتقـرر مصـيرنا وتتدخل في حياتنا؟ عشرون عامًا وأنت متربع على هذا الكـرسي! أمـا مللت يا رجل؟ كيف نجوت من أربع محاولات انقلاب! يـا لـك مـن محظوظ!

يمر على صورة أخرى...

- لا نحبك لا نحبك ارحل عنا أنت وحزبك!

يمر على مقر مجلس النواب...

- نـواب أم شـيوخ منصر!ـ تشـترون أصـوات النـاس وعنـدما تجلسون عـلى كراسـيكم لا تفعلـون شـيئًا سـوى التصـفيق لقـرارات رئيسكم المزهو بذاته! مجلس نواب هذا أم مجلس للتصفيق!

يواجهه زحام آخر ...

- يبدو أني لن أصل لعملي في الوقت المحدد ببركة هذا الازدحـام المدمر!

ينـادي عـلى بـائع الصـحف المتجـول ليشـتري منـه الصـحيفة اليومية... يتصفحها بسرعة وهو يضحك!

- صـور سـيادته عـلى الصـفحة الأولى كالعـادة! كيـف لا وهـو الإنسان الأول في هذه البلاد ورأس الدولة بل هو الدولة!

- تشغل أكثر من عشرين منصبًا! كيف تستطيع إدارتها كلها!

- متـى سـترحل عنـا؟ وإذا مـا رحلـت إلى الأبـد فـإن تماثيلـك وصـورك التـي تمـلأ مـدن الـبلاد سـتحتاج إلى آلاف الأشـخاص لإتلافها... أتوقع أن عددها سيفوق عدد الشعب في يوم قريب!

يلمح دائرة الدعم الاجتماعي ويشاهد مئات الناس ينتظرون فتح البوابات للدخول والحصول على الإعانة الشهرية...

يا للهول! الثروة الهائلة تتماوج من تحت أقدامكم! وتقبلون بفتات تمن به حكومة الرئيس المظفر! أيها المساكين لديكم ثروة لا تغطيها أشعة الشمس! ولكن رئيسكم وحزبه لم يبقوا لكم شيئا! حتى لو سقط نظامه هل ستعود لنا ثرواتنا التي استنزفها؟ بل هل سنتمكن من بناء أنفسنا بعد كل هذا التدمير الفظيع الذي لحق بها؟ ماذا جنيت بنا أنت وحزبك يا هذا!

يصل إلى مقر عمله بعد ساعة مثقلة بالهموم... يجد موقفًا بصعوبة كعادته...

ما إن يقفل باب سيارته حتى يحيط به مجموعة من الأشخاص

- أنت موقوف بأوامر أمنية عليا.

- من أنتم؟

- ألا تعلم من نحن يا هذا!

تنتابه صدمة رهيبة ...

- يا هذا! إنها كلمة قلتها قبل لحظات! ولكن مستحيل! لم أقلها لأحد ولم يسمعني أحد! ما الذي يحدث؟

يقاد إلى مقر سري للأمن...

يرمى لعدة ساعات في زنزانة انفرادية ... يأتيه أحد الضباط...

- ما بالك ساكتًا؟ لِمَ لا تتحدث مع نفسك كما كنت تفعل على الدوام؟

- (ينظر إليه في ذهول) ماذا تريدون مني؟ ما الذي جنيته حتى تقبضون علي؟

يأخذه إلى غرفة التحقيق...

يجلس أمام المحقق الذي كان يوقع بعض الأوراق... يلمح هاتفه الجوال وجهاز تسجيل... ينظر إليه المحقق بابتسامة غير معهودة ثم ما يلبث أن يضحك بسعادة غامرة...

- يا لك من شخص ظريف، ولكن سيئ الحظ!

- سيدي ما الذي فعلته؟ أنا لم أرتكب جرمًا بحق أحد، أنا مواطن صالح طوال عمري.

المحقق يستمر في ضحكه ليضحك معه بقية الضباط والجنود...

يمسك المحقق بمشغل الوسائط الصوتية ويضغط على زر التشغيل ليُسمِعه صوتَه الذي انتقد به الرئيس والحزب والحكومة أثناء ذهابه لعمله!

- مستحيل... مستحيل، كيف ذلك!

- يا لك من صيد سهل! حظك العاثر أوقعك في يدي أنا شخصيًّا.

يتصبب العرق من جبينه...

- لا تخف لن نؤذيك وستمضي من بين أيدينا سالمًا، لا تقلق أبدًا!

يستعيد تماسكه وثباته...

- ما تفعلونه غير قانوني، لا يجوز التجسس على أحد إلا أن يكون مشتبهًا به.

- بالطبع كلامك صحيح ونحن نفذنا هذا القانون بحذافيره!

- كيف؟

- نحن لم نتجسس عليك قط، أنت بكل بساطة اتصلت بالشرطة خطأ بواسطة هاتفك المتحرك ولم تنهِ المكالمة!

- يا إلهي!

- يبدو أنك لم تغلق هاتفك بالطريقة الصحيحة! وقد بادر مسؤول الاتصال إلى تسجيل كلامك وإرساله لنا!

- أنا لم أقل هذا الكلام لأحد، إنه بيني وبين نفسي!

- مهمتنا رصد كل شيء! حتى أحلامك لو كان الأمر لنا لراقبناها!

- تريدون معاقبتي على كلام وجهته لنفسي!

- قل هذا للمحكمة يا أخي المواطن!

يتيقن بأنه وقع في ورطة كبرى، يقضي ليالي حالكة في سجن الأمن المركزي، وبعد طول انتظار تعرض قضيته على المحكمة...

- هل هذا التسجيل لك؟

- نعم سيدي.

- إذن أنت تعترف؟

- ولكني وجهته لنفسي ولم أقله لأحد، إنه رأيي احتفظت به ولم أعلنه فكيف أعاقب عليه؟

- (المدعي العام) سيادة القاضي: إن هذا الرجل كشف بما قاله عن ميل غير طبيعي للاحتجاج الهمجي والتمرد غير المشروع على أنظمة البلاد وقوانينها، وكشف بما اعترف به من آراء أنه يحمل في داخله نزعات انتقامية شريرة وميولا عدوانية قد تتحول يومًا ما إلى فعل مدمر، وإن من واجبنا تجاه مواطنينا وبلدنا أن ننزل به العقاب الرادع الذي هو بمثابة علاج له ولأمثاله.

- لا يا سيدي، إنها مجرد شقشقة جاءت على لساني في لحظات غضب عارمة ليس إلا، ولو كنت كما قال الادعاء لتحولت إلى فعل واضح وصريح في أوج شبابي وليس الآن بعد أن دخلت خريف العمر.

- سيدي القاضي، لو كان كلامه عابرًا لهان الأمر، إلا أنه كان مشوبًا بكراهية وأحقاد دفينة تجاه قيادة البلاد ومؤسسات الدولة.

- صدقني يا سيادة القاضي إنها مجرد شقشقة.

ينظر له القاضي بوجه متصلب ثم ينطق بالحكم...

- حكمت المحكمة بسجنك خمس سنوات.

يقيده رجال الشرطة ويمضون به إلى حياته الجديدة ...

- تحكمون عليَّ لكلام عابر قلته لنفسي! تدينوني لرأي خرج من فمي ليسبح في الأثير اللامتناهي! تعاقبونني على فكرة حبيسة داخل عقلي!

لا أحد يسمعه.... يلقى في سجنه الكئيب ليقضي نصف عقد من عمره عقوبة له على شقشقة تحدث بها مع نفسه في ساعة غضب عاتية.

أشباح النهار

هل أنت متأكد مما تقول؟

نعم يا سيدي لقد شاهدتهن بأم عيني.

يستلقي على كرسيه وهو غير مصدق لما أخبره به الرجل... كيف لثلاث فتيات يقدن ثلاث سيارات بوسط الحي ويبلغ عنهن ولا يعثر عليهن!... لعله شاهد صبية صغارًا واعتقد أنهن فتيات!

في نهار اليوم التالي كان جالسًا مع أصدقائه الضباط وهو يحدثهم بأمر فتيات الحي...

إنه رجل واهم دون شك، لا تصدق كل من يتقدم ببلاغ هذه الأيام.

كلامك صحيح يا زميل، لو كان كلامه صحيحًا لرآهن غيره.

يقطع حديثهم أحد رجال الشرطة...

سيدي، أمر هام، ثلاث نساء شوهدن يتناولن وجبة الطعام في مطعم بوسط المدينة!

ماذا؟ هيا بنا!

يمضي مسرعًا باتجاه المطعم الذي ارتكبت فيه الجريمة المدوية...

أين هن؟

سيدي لقد كن جالسات على هذه الطاولة!

ولماذا لم تمسكوا بهن؟

لم نستطع يا سيدي، كن يتناولن الطعام ولم يكن بمقدور أي منا أن يقترب منهن.

وأين ذهبن؟

صعدن سيارة قادتها إحداهن وانطلقت بها سريعًا.

يا لك من غبي! لماذا لم تسجل رقم السيارة!

يعود إلى مركز الشرطة... يوبخه رئيس المركز ويأمره بسرعة بإلقاء القبض على الفتيات المشاغبات وإلا فإنه سيتخذ كافة الإجراءات بحق كل عسكري يقصر في أداء واجبه!

يأمر بتسيير دوريات يقودها بنفسه...

سيدي لقد رصدناهن وهن يتناولن فطائر داخل أحد مطاعم الوجبات السريعة!

حسنا يا ويلهن مني!

يذهب إلى المطعم بأقصى سرعة ...

- أين هن؟

- لقد غادرن قبل قليل يا سيدي.

- يا لك من معتوه! ألا تعرف أن تناول النساء والفتيات للطعام داخل مطاعم الوجبات السريعة ممنوع!

- لم أستطع منعهن يا سيدي.

- ماذا أكلن؟

- فطائر البيض والطعمية والكبدة!

- ويلك! كيف جرؤن على فعل ذلك، وكيف كان مظهرهن؟

- رأيتهن مرتديات بنطلونات ضاغطة وبلوزات مختلفة الألوان!

يمسك به وقد اشتد غضبه!

- ألا تعلم أن ما قمن به ممنوع منعًا باتًّا وجريمة يعاقب عليها القانون! لماذا لم تأمرهن بأن لا يدخلن وأن يقفن كغيرهن أمام تلك النافذة التعيسة!

العامل لا يرد جوابًا...

يعود إلى مركز الشرطة وقد أقسم أن لا يرجع إلى منزله إلا وقد ألقى القبض عليهن!

في منتصف النهار التالي كان على موعد مع حادثة مجلجلة!

كان متمركزًا في وسط المدينة وعيونه ومخبروه في كل مكان ...

سيدي الفتيات فعلن أمرًا خطيرًا!

ماذا حدث؟ أقتلن أحدًا؟

لا، لم يقتلن أحدًا، إنهن يلعبن كرة القدم في الملعب الرياضي!

يا للهول! أوصلت بهن الجرأة إلى هذا الحد!

يتجه بالعشرات من سيارات الشرطة إلى الملعب الرياضي، ويأمر بمحاصرته... يدخل وسط الملعب برفقة المخبرين والشرطة...

أين هن؟

سيدي لقد كنا هنا قبل دقائق ولكنهن اختفين فجأة!

يمسك بمدير الملعب من حلقه!

كيف اختفين؟ قل كلامًا يستوعبه العقل!

لا أدري يا سيدي، دعني سأموت خنقًا إن ظللت هكذا طويلا!

يبعد يديه عن حلقه بعد توسلات واستغاثات!

ماذا كن يفعلن بالضبط؟

يلعبن الكرة.

ويلك! ألا تعلم أن هذا ممنوع!

لم نستطع منعهن يا سيدي؟

كيف لم تتمكنوا من منعهن؟

لا أستطيع أن أشرح لك، ولكننا فقدنا القدرة على الاقتراب منهن!

- (بغضب مستطير) سأعرف كيف أجعلك تقرُّ بالحقيقة عوضًا عن هذا الهذيان!

ينشر مخبريه في كل مكان من الملعب على أمل أن يحضرن في المباراة التي ستقام في المساء...

يقف متأهبًا في القاعة المخصصة للمراقبة... يراقب الجمهور بالمنظار الإلكتروني ... فجأة يُشَاهَدن وهن يشجعن الفريق الأبيض!

يا لبشاعة ما يفعلن! يقفن وسط الشبان وشعر رؤوسهن يرفرف كالأعلام يمينًا وشمالًا!

هل وجدتهن؟ (يخاطبه مساعده).

يسلمه المنظار ولكنه لا يرى شيئا!

لم تراهن! يبدو أنك لم تغسل عينيك جيدًا هذا الصباح!

يأخذ منه المنظار فيشاهدهن مجددا!

- أنا أراهن بوضوح تام! إنهن الآن يضحكن بعضهن مع بعض!

يأمر مساعده باستخدام منظار آخر ولكنه لا يرى أي شيء!

- أنت أعمى البصر والبصيرة دون شك!

يخاطبه بغضب ثم يأمر شرطته بالذهاب إلى الموقع المحدد والقبض عليهن...

بعد عدة دقائق يعود شرطي قائلا:

- سيدي لم نرَ أي فتاة في الموقع الذي حددته!

يجن جنونه...

- أنتم جميعًا بلا بصر ولا بصيرة، الويل لكم! سأكتب فيكم تقريرًا ينقلكم إلى الصحاري القاحلة!

يذهب بنفسه إلى المكان، ولكنه لا يرى أحدًا منهن! ما إن يبتعد قليلا حتى يشاهدهن مجددًا!

تخور قواه فيعود إلى مركز الشرطة ليتلقى توبيخًا شديدًا من رئيسه...

إن لم تقبض عليهن فلا فائدة ترجى منك...أفهمت!

ينتابه يأس شديد ... يفقد شهيته لكل شيء إلا من الانتقام منهن!

في وسط نهار اليوم التالي يتلقى مفاجأة أخرى!

- سيدي لقد ارتادت الفتيات المكتبة العامة، إنهن الآن هناك.

- حسنا هذه المرة لن يفلتن من قبضتي!

يـأمر بمحـاصرة مبنـى المكتبـة ثـم يقتحمـه بجنـده المـدججين بالأسلحة...

- أين هن؟

- إنهن هناك يا سيدي.

أخيرًا وقعتن في يدي أيتها المشاكسات!

يقترب منهن إلا أن ضعفًا مفاجئًا ينتابه كلما تقدم باتجاههن...

ألا تعرفن أن دخول الفتيات للمكتبة العامة ممنوع!

لا يجبنه وكأنه لا يتحدث إليهن...

- ما لكن لا تجبن؟

يقفن بهدوء تام ويضعن الكتب في رفوفها ويخـرجن مـن البوابـة الأخرى ببرود...

- أنتن! قفن هنا! آمركن بالوقوف.

يطلب من الشرطة القبض عليهن ...

يحاولون اللحاق بهن ولكن قوة غريبة تشل حركتهم...

في نهاية اليوم يقدم تقريره لرئيسه...

أتريدني أن أصدق أنك وشرطتك لم تتمكنوا من اعتقال ثلاث فتيات لا يمتلكن من أمرهن شيئا! مبرراتك لا يقرها عقل أو منطق، اسمع سأمنحك فرصة أخيرة إن لم تتمكن منهن فأنت تعرف مصيرك.

**

في اليوم التالي يقود مركبته ويأمر بتمشيط بعض مربعات المدينة ...

إن لم أقبض عليهن سأقدم استقالتي، لن أسمح لأحد بأن يتحكم بمصيري!

يتلقى مكالمة...

- سيدي لقد رصدناهن في أحد البنوك!

- يا ويلهن! أوصلت بهن الجرأة أن يتواجدن في مكان مزدحم بالرجال!

يأمر بمحاصرة البنك ثم لا يلبث أن يدخله بشرطته...

أين هن؟

ذهبن يا سيدي!

يجن جنونه فيندفع لتحطيم بعض الأثاث إلى أن تهدأ ثائرته! ثم يخاطب مدير البنك بغضب وازدراء...

هل أنت رجل؟ كيف تأذن لفتيات بأن يدخلن إلى هنا؟ ألا تعرف بأن هذا ممنوع وأن عليهن الذهاب لفرع مخصص للنساء؟ وبعد كل هذا تسمح لهن بالمغادرة!

سيدي لم نقدر على منعهن، لقد ذهلنا جميعا بحيث لم نستطع اتخاذ أي قرار.

وماذا كن يفعلن هنا؟

سحبت كل واحدة منهن مبلغًا من المال.

(بغضب مستطير) يا لسواد نهارك هذا اليوم! أين المستندات المتعلقة بذلك؟

ستكون بين يديك فورًا ولكن أرجوك ألا تغضب!

يذهب مسرعًا ثم يعود بعد عدة دقائق وفي يده مستندات فارغة...

الويل لك! اقبضوا عليه إنه متآمر معهن دون شك!

كلا يا سيدي أنا بريء.

تقدم لي مستندات فارغة وتقول إنك بريء!

يبدو أن بياناتهن لم تحفظ بعد تسجيلها، سنحاسب الموظف الـذي تسبب في ذلك.

يخرج من البنك وقد اشتد غضبه إلا أنه يتلقى اتصالا غريبًا...

ما هذا الرقم الغريب؟ ألو!

أنا إحداهن!

أنتِ، أرجوك تعالي لمركز الشرطة، لن أمسكِ بسوء، أعدك بشرفي العسكري.

إننا الآن في طريقنا نحو الطريق الجبلي، إذا كنـت تريـد التحـدث إلينا فنحن هناك!

يقود مجموعة من سيارات الشرطة التي تتجه نحو الطريق الجـبلي السريع بأقصى سرعة ممكنة...

يرصد الجنود السيارة التي تستقلها الفتيات ويتبعونها بينما يتم تحذيرهن عبر مكبرات الصوت بخطورة ما يقمن به من تحدٍّ للسلطات...

- الويل لكن، إن هذا اليوم لن يمحى من ذاكرتي ما حييت، إن لم ألقِ بكن في السجن لأكثر من عشر سنوات سأنهي خدمتي من دون راتب تقاعدي!

يطاردونهن بالسرعة القصوى، تباغتهم الفتيات بدخولهن طريقًا جبليًّا فرعيًّا ... يعودون من فورهم ليسلكوه ولكنهم لا يرون للسيارة التي تقل الفتيات المطلوبات أي أثر.. يعمدون إلى اقتفاء أثرهن بكل الطرق الممكنة دون جدوى...

أين ذهبن؟ أين اختفين؟ لا يمكن أن يحدث هذا!

يعود إلى رئيسه ويقدم له تقريرًا بالحادثة ...

تعود الأمور إلى ما كانت عليه وكأن شيئًا لم يحدث، يتجول في شوارع مدينته ليتأكد من أن النساء ملتزمات بكل ما هو مفروض عليهن... يشاهدهن وهن يطلبن الفطائر من تلك النافذة الصغيرة

المخصصة لهن! ويتأكد من عدم دخولهن للمطاعم والمرافق العامة! يدقق النظر في السيارات والدراجات ليتيقن من أن النساء ملتزمات بمنعهن من قيادتها! يبتسم ابتسامة المنتصر- ويسترخي... لكنه فجأة يراهن يمشين وسط الطريق... ينظر لهن بذهول وهن يضحكن ضحكات أنثوية ماجنة... يخرج من سيارته وينادي عليهن ... ينظرن له بوجوه ماكرة ... يستمر في نداءاته عليهن والناس تنظر له بتعجب، لا يهتم بمن حوله ويستمر في مناداتهن ... يعاودن النظر له بابتسامة ساخرة ترتسم على وجوههن ويرفرفن له بشعورهن المنسدلة إلى صدورهن ثم يختفين عن ناظريه من جديد...

قوالب الثلج

تجد نفسها في الأعلى... ضباب كثيف يحجب نور عينيها... أصبحت بعيدة عن كل من حولها ... تحاول الاستغاثة فينعقد لسانها... تستسلم لقدرها، إلا أن الضباب سرعان ما ينقشع ليظهر بعده نور شديد تسمع من خلاله أصواتًا بشرية متشابكة... ينجلي النور لتجد نفسها محاطة بطاقم من الأطباء والممرضات الذين سارعوا إلى تهنئتها بعودتها إلى الدنيا..... أطفالها الثلاثة يتسابقون في الدخول إلى حضنها بدموع غزيرة ولهفة عارمة... زوجها يقبل خديها والدموع منهمرة من عينيه.... تستأنف غيبوبتها مرة ثانية... تستقر حالتها وبعد عدة أيام تعود إلى منزلها...

- ماذا قال لك الطبيب بشأن حالتي؟

- لا تقلقي يا عزيزتي، إنه مرضك المزمن الذي رافقك طوال عمرك.

- ولكن الأمر هذه المرة يبدو مختلفًا، لقد كنت قريبة جدًّا من...

يحتضنها بعطف بالغ...

- لا تعودي لمثل هذا الكلام مرة أخرى، كل شيء سيكون على ما يرام.

- (بوجل) حقًّا.

- بالطبع، فكري فقط بأطفالك وبأيامك المقبلة، دعي عنكِ ما عدا ذلك.

يمسك بأطفاله ويجلس زوجته على كرسيها المتحرك ويذهب بهم إلى الملاهي... هناك تشاهد أطفالها وهم يلعبون، تغمرها سعادة عارمة، ترى الناس من حولها وهم في بهجة وسرور، تشعر بقوة تسري في جسدها، تغادر كرسيها المتحرك وسط تصفيق الناس من حولها، يشجعها زوجها ويحتضنها أطفالها... تمشي وتبتسم ابتسامة غناء وكأنها تغني للجمال من حولها... يتقدم نحوها أحد المعجبين...

– سيدتي أرجو أن تقبلي مني هذه الوردة الحمراء.

تأخذها منه بوجه باسم مشرق...

يتأمل في وجهها مليًّا، ينظر في عينيها...

- سيدتي العلة في الجسد لا في الروح، عندما تنامين تتحرر روحكِ من جسدكِ، فلا تشعرين بمرضك إلا عندما تستيقظين، ولكن عندما تكون علتك في روحك فإنك تشعرين بها في يقظتك ونومك.

تعود إلى شقتها وهي مبتهجة، تواصل علاجها، تظهر تقدمًا في مراحل العلاج...

- دكتور هل ستشفى؟

يخلع نظارته وينظر له بوجم...

- كل شيء بمشيئة السماء، إنها تقاوم بشراسة والنتائج جيدة.

**

تتمكن من ترك كرسيها المتحرك... روحها ترتبط بجسدها أكثر، تزداد قوة ونضارة، تعود لممارسة الكثير مما تركته سابقًا. السكينة والاطمئنان يغمران أسرتها مرة أخرى... في ليلة عيد الميلاد تخرج مع عائلتها لشراء هدايا العيد الجميلة، ثم تتناول وجبة عشاء شهية...

- الحمد الله يا حبيبتي لقد رجعت لك نضارتك وعاد زهوك.

-كل هذا بفضل الله ثم بفضل وقوفك معي يا زوجي الحبيب.

يعودان إلى مسكنهما، يقلبان في الهدايا...

- أوه هذه اللعبة مكسورة.

- لا عليك أرجعها بعد العيد.

- ولكني أريد إهداءها لابن أختي.

- وماذا ستفعل؟

- سأذهب لإعادتها.

- ولكن.

- لا تقلقي نصف ساعة ثم أعود.

يقبلها ثم يخرج مسرعا... تشعر بإحساس غريب يسري في جسدها... انقباضة في صدرها، الدنيا تمتلئ بغبار كثيف ..تتقدم من الشرفة بصعوبة بالغة، ترى زوجها وهو يركب سيارته... تناديه ولكنه لا يسمعها... صداع عنيف... ضغط رهيب يسري في أنحاء جسدها... تنادي أطفالها ولكنهم أصبحوا بعيدين عنها ...

تلتفت يمينًا وشمالا فترى ورودًا حمراء تحيط بها من كل صوب... تبتسم ثم تغفو...

**

نبضات قلبه متسارعة.... شعور غريب ينتابه لأول مرة... انقباضات صدره تتماوج، يرى ذلك الرجل الذي أهدى زوجته وردة حمراء قبل أسابيع... يقترب منه بصمت...

- هل تعتقد بأنها ستشفى؟

يجيبه بصوت جهوري بارد ...

- قد تمنح الروح النقية جسدها العليل القوة، ولكن الجسد يبقى مجرد آلة.

- ماذا تقصد؟

- جسد الإنسان ليس سوى رداء للروح وهذا الرداء قد يتعرض للتلف وتنتهي مهمته في أي وقت.

يتصل بزوجته محاولا الاطمئنان عليها ولكنها لا ترد عليه... ينتابه قلق عظيم... ينطلق بسيارته مسرعًا...

- كلا سأدخل بشكل طبيعي، لا أريد أن أشعرها بأني كنت قلقًا عليها.

يفتح الباب بهدوء... يناديها بحنان... ولكنَّ منزله ظل ساكنًا إلا من أنفاس بعيدة لأطفاله النائمين... يناديها بصوت يزداد هيجانًا ولكنها تبقى صامتة...

يبحث عنها في أنحاء البيت فيراها ملقاة على الأرض وقد برد جسدها، يحتضنها والدموع تنهمر من عينيه كالطوفان... يئن ... يصرخ ... يبكي .. يخاطبها بقلب مفجوع ونفس مرتاعة...

- عودي إلى جسدك يا حبيبتي، أعدك بأني سوف أفعل المستحيل ليكون صالحا لتسكني فيه، أرجوكِ امنحيني فرصة واحدة فقط...

يغسلها بدموعه ثم يحملها في تابوت ويضع عليه قوالب من الثلج، يأخذ أطفاله معه ويمضي بهم في درب طويل.

- أبي ما بال أمي لا تستيقظ من نومها؟

- لا تقلقوا يا أبنائي، أمكم نائمة بسبب الحمى، ضعوا عليها قوالب الثلج باستمرار حتى تنخفض حرارتها وتستيقظ لتضمكم في حضنها.

يضعون على جسدها المزيد من قوالب الثلج على أمل أن تغفو من صحوة نومها وتضمهم في حضنها على جري عادتها، إلا أنها تظل نائمة بينما يذرف زوجها دموعه الحبيسة بين فترة وأخرى حتى نهاية الطريق.

النار

بشروق الشمس يكون الهجوم الأعنف من النار التي تحاصر القرية قد انتهى.. خلف الهجوم أربعة شبان احترقت أجسادهم وأصبحت جثثًا متفحمة لا يُعرف أصحابها... يشيع القتلى إلى مثواهم الأخير والحزن جاثم على قلوب الأهالي كمارد يأبى الخروج من جسد استباحه فاستلذ المكوث فيه.

عماد: ماذا سنفعل الآن يا فراس؟

فراس: لا شيء.

لا شيء!

ماذا تريدنا أن نفعل؟ ليس لنا إلا أن نستمر في المقاومة.

إلى متى؟ إن النار تحرق شخصًا أو شخصين من أبناء القرية كل يوم.

أتريدنا أن نستسلم لها؟

كلا، ولكن فلنذهب إليها ولنعرف ماذا تريد منا بالضبط.

يذهب فراس بصحبة شقيقه عماد إلى النار... كلما اقتربا منها يشعران بارتفاع شديد في الحرارة... النار تحيط بقريتهم من مختلف الجهات، يرتفع لهيبها ارتفاعات شاهقة في السماء لتحكم حصار القرية وأهلها ... ينظر فراس إلى الأفق فلا يرى سوى النار التي أحالته إلى لون أحمر داكن كئيب...

فراس : ماذا تريدين منا أيتها النار؟

النار: كل شيء.

- ماذا تعنين بذلك؟

كل شيء... كل شيء.

لقد أحرقتِ بساتيننا، وحرمتِنا المياهَ العذبة، حتى جف النهر الذي كان يرفدنا بالمياه.

إن أردتم استعادة بعض ما فقدتموه فعليكم بالخضوع لي إلى الأبد.

كلا لن نفعل (يقولها فراس بغضب وشقيقه عماد يحاول تهدئته).

بعد غد سينتهي الأمر.

- ماذا تقصدين؟

ستعرف ما أقصده بنفسك، ولكن إن أردتم تجنب مصيركم الأسود فعليكم بالاستسلام والطاعة المطلقة لي.

يجتمع أعيان القرية وأبناؤها...

كبير أعيان القرية: اخرجوا من القرية، غادروها إلى الأبد (يوجه كلامه إلى فراس).

فراس: أتعتقدون أن هذا هو الحل الذي سيجلب لكم السلام؟

لقد وعدتنا النار بأنها لن تدمر قريتنا إن غادرتموها.

فراس: وما قيمة القرية من دون شبابها؟

أو ليس هذا أفضل من تدميرها عن بكرة أبيها؟

علينا أن نقاوم.

تقاومون من؟ من يستطيع مواجهة هذه النار؟ إن دخانها يمتد إلى عنان السماء؟ من يقدر على هزيمتها؟

فراس، سنعطيك ومن معك المال الكافي لبدء حياة جديدة في مكان آمن.

أموال من دون وطن كجسد بلا روح (يقولها فراس بحماس ونشوة).

يخرج فراس بصحبة العشرات من شباب القرية ويتفقون على مقاومة النار. يشحذون هممهم، ويتآزرون فيما بينهم ... يتوجهون إلى البئر الرئيسية ويستخرجون منها براميل المياه ويعبئونها في المجانيق... يتخذون مواقعهم استعدادًا لبدء الهجوم ...

فراس: عندما يحل الفجر سنهاجمها، ستكون درجات الحرارة منخفضة، والنار في أدنى قوتها.

مع دقائق الفجر الأولى يبدأ شباب القرية هجومهم، المياه الباردة تنهال على جنود النار فترديهم... تنتشر المياه في أنحاء متفرقة من النار، تضج النار وتصدر حسيسًا مهولا وكأنها تصحو من نوم امتد لآلاف السنين... السماء تتحول إلى شعلة من اللهب... الوجود يصطبغ بلون أصفر معتم... كرات نارية تنهال عليهم يتراكضون في الأرجاء احتماء منها... تصيب الكرات بعضهم، يحاول فراس أن يطفئ أجساد الشبان المحترقة بالماء ولكن الماء لم يعد له أثر.... يفاجأ فراس وعماد

مـن ذلـك، يصـاب الجميـع بالـذهول... يصرـخون في الأنحـاء ... ينهالون باللعنات على النار وجنودها... كرات النار الملتهبة تحول أكثر من خمسة شبان إلى مجرد أشلاء محترقة...

البكاء والنحيب في كل مكان . بكاء النسـاء والأطفـال يسـمع في كافـة أنحـاء القريـة... دمـوع فـراس وعـماد وبقيـة الشـبان تنسـكب بغزارة...

فراس: لقـد صـببنا علـيهم المـاء ولكـن النـار ظلـت مشـتعلة في أجسادهم.

الكل صامت ولا أحد يجيبه...

يوجه خطابه إلى والده ...

أبي صدقني لم نهرب من النار، لقد حاربناها بكـل قوانـا، ولكـن الأمر الغريب أن مياهنا لا تطفئها.

يتقدم منه والده ويمسك كتفيه بشدة...

إنها نار من صنع الشيطان.

ماذا!

إن نار الشيطان لا يطفئها الماء.

وما الذي ينفع معها إذن؟

يزداد ضغطًا على كتفيه..

- لا يطفئ نار الشيطان إلا نار مثلها يا ولدي.

**

يعود فراس وشقيقه عماد إلى منزلهما وهما في غاية الألم والحزن، يحاول والدهما التخفيف عنهما، إلا أن وقع ما حدث أخذ منهما الشيء الكثير...

يستسلم فراس للنوم بينما يبقى عماد مستلقيًا وجهه باتجاه الشرفة متأملا بحرقة سماء الليل المظلم المزين بالنجوم... تقطع عليه خلوته شعلات نيران متحركة سرعان ما تطوق المنزل، يستيقظ فراس على إثر الحرارة الشديدة ...

عماد: إنهم جنود النار يا فراس.

فراس: ماذا يريدون منا؟

- لا شك أنهم جاؤوا لقتلنا.

قاذفات اللهب المخيفة تحيط بهم... القنابل المضيئة تنفجر في محيط البيت محدثة هزات عنيفة...

تشتعل النار في أنحاء متفرقة من المنزل. يقذف فراس وعماد ووالدهما بالنار... يأخذ فراس والده إلى إحدى الغرف للاحتماء بها... يصارع فراس وعماد جنود النار بالأسلحة البيضاء... يسارع شباب القرية إلى مساعدتهما فيفر جنود النار بعد أن دمروا القسم الأكبر من المنزل.

كبير أعيان القرية: اسمع يا فراس، لقد عدنا للتو من مقابلة النار وقد أعطتنا عهدًا بالأمان إذا ما وافقنا على شروطها.

فراس: وما هي؟

أن ترحل أنت ومن معك من شباب القرية.

وماذا أيضا؟

أن نسلم لها البساتين والمياه، وأن نطيعها في كل ما تأمرنا به، وفي مقابل ذلك ستمنحنا الأمان والسلام.

يجيبهم فراس بهدوء قائلا:

ما قيمة حياتكم إذا كنتم ستقدمون لها كل شيء وهي في المقابل لن تمنحكم سوى الحياة التي تمنحها للدواب؟

أحد أتباع كبير أعيان القرية: أليس هذا أفضل من الموت حرقًا؟ أليس ذلك أفضل من أن يدفن أحدنا وهو أقرب إلى كونه فحمة سوداء بالية؟

عماد: الموت في النور أفضل ألف مرة من العيش في الظلام.

يرفض شباب القرية شروط النار ويصرون على المقاومة، يعبئون قواهم استعدادًا للمعركة الكبرى مع النار... مع انبلاج الفجر تهاجم النار القرية من مختلف الجهات .... يغير جنودها على ما تبقى من البساتين فيحيلونها إلى أكوام من الرماد.... المياه تتحول إلى سيل من الحمم البركانية... الرياح الصفراء تقضي على تغاريد البلابل وزغردة العصافير... تتساقط الحمم الحجرية من الجبال المحيطة بالقرية... تخور الأبقار خوفًا ورعبًا... وتنبح الكلاب نباح المستغيث... تطير الطيور محاولة الفرار من الجحيم فتصطدم بعضها ببعض فتتساقط ميتة على

الأرض... لأول مرة تنهق الحمير وجلا وخوفا من جنود النار الذين لم يرحموا أحدًا، حتى الأموات في قبورهم بدوا وكأنهم يستغيثون من النار وحربها المجنونة... فراس وعماد وبقية شباب القرية لا يزالون يقاومون النار، كلما نظروا إلى زرقة السماء في النهار وسوادها في الليل، وعدم قدرة النار على حجب ضوء القمر وتلألؤ النجوم زاد أملهم بنصرهم عليها في يوم ما.

أنـــا

- اخرج من بيتي أنا لا أعرفك!

- ولكنكِ زوجتي، أنا متيقن بأننا عشنا معًا في هذا البيـت لأكثـر من خمسة عشر عامًا.

- سيدتي امنحي نفسكِ وقتا للتعرف عليه.

- كلا، لا أعرفه، اخرجا من بيتي فورًا.

يخرج من بيتها منكسرًا لا يدري ماذا يفعل وإلى أين يذهب ...

- لقد بذلت كل ما في وسعي، لا أستطيع أن أقدم لك شـيئًا بعـد الآن، تستطيع الذهاب للملجأ وقتما تشاء، هذا ما يمكنني فعله.

يسلمه تصريح دخول الملجأ ويتركه بمفرده...

يسير في الطرقات وحيـدًا...يتعب مـن المشي- فـيجلس في أحـد المقاهي... يرى بالصدفة صديقًا قديمًا له...

- أهلا بك يا راشد منذ زمن لم أرك؟

- من أنت؟

- أنا صديقك باسل ألم تعرفني؟

- نعم، لم أعرفك ولم يسبق أن التقيت بك.

- مستحيل نحن أصدقاء منذ أيام الجامعة!

- قلت لك لا أعرفك، ابتعد عني رجاء.

يمضي بعيدًا ... يحن عليه الليل فيستلقي على شاطئ البحر... تتغرغر عيناه بالدموع... ينظر إلى القمر مخاطبًا...

يبدو أنه حتى أنت أيها القمر لم تعد تعرفني، هل تذكر عندما كنت أقضي في غمرة لياليك تلك الأمسيات الحالمة التي لن أنساها ما حييت؟... كانت في قمة الروعة، كنت في جوف ليلك وهدوء سكناته أتسامر مع أصدقائي، كنا نختار المكان المظلم الذي ينيره نورك الأخاذ لنلقي أجمل الأشعار . أتذكر يا صديقي القمر آهات شعري الذي كنت أختاره لشعراء كتبوا أجمل قصائدهم في عتمة لياليك الباهرة؟

يداهمه سلطان النوم فيستسلم له ... يستيقظ على زقزقة العصافير ولسعات أشعة الشمس ... يتوجه إلى أحد المطاعم ليرتشف كوبًا من القهوة ثم يسرع نحو مدرسة الأطفال...

يشاهدهم وهم يخرجون من الحافلات باتجاه مقاعدهم الدراسية، يرى زوجته وطفله، ينتابه الشوق العارم فلا يستطيع المقاومة...يمسك بطفله ويحتضنه بحرقة...

- ابني حبيبي، إذا نسيني كل الناس فأنت لا يمكن أن تنساني.

ينظر له طفله ببراءة ...

- هل أنت أبي؟

- أنا والدك يا حبيبي.

تختطفه أمه من حضنه بقسوة...

- كم مرة قلت لك أن لا تأتي إلى هنا؟

- أنا زوجك ووالد طفلك.

- أنت رجل مجنون ومريض.

يقبض عليه المارة ويأخذونه إلى الشرطة التي تكتفي بتوقيعه تعهدًا بأن لا يتعرض لزوجته وطفله مرة أخرى...

ينظر لطفله الذي كان جالسًا في المقعد الخلفي في السيارة التي كانت تستعد للمغادرة فيناديه بلهفة غامرة:

- ابني حبيبي.

يلتفت إليه طفله وقد بدا على محياه التأثر والعطف...

- أمي ربما يكون هذا الرجل أبي.

- إنه شخص مجنون، لا يعقل أن يكون أباك.

لا يستسلم لقدره، يقرر الذهاب إلى الشركة التي كان يعمل فيها...

- أنا متأكد بأن عقدًا من الزمن لا يمكن أن ينسيهم ذكري.

يذهب إلى الملجأ .. يحلق ذقنه ويرتدي الملابس التي كان يرتديها أيام عمله...

يدخل مقر البوابة الرئيسية فيرى زملاءه من حراس الأمن...

- فادي، باسم، سمير، أهلا بكم، كما أنا مسرور بلقائكم بعد كل هذه الأعوام.

ينظرون إلى بعضهم بعضًا بتعجب...

فادي : من أنت؟

- أنا زميلك باسل الذي كنت أعمل في قسم المشتريات.

سمير : عفوا سيدي نحن لا نعرفك ولم نلتقِ بك قبلا!

ينشغلون عنه بعملهم فيخرج من بينهم متألمًا...

يتوجه إلى قسم المشتريات... ينظر لزملائه من النافدة...

- كنت أعمل هنا، هذا مكتبي لم يتغير حتى الآن، ذاك سالم رئيس القسم، وذاك عيسى، وتلك منى، وهذه شذى التي حلت مكاني، كلهم أذكرهم وكأني لم أفارقهم منذ سنوات.

يدخل عليهم بحذر...

- أهلا بك هل من خدمة أسديها لك؟ (يكلمه سالم رئيس القسم).

- سالم ألم تعرفني؟ أنا باسل!

ينظر له بتمعن ...

- نعم يا سيدي، لم أرك من قبل.

- مستحيل! لقد كنت أعمل في هذا القسم زهاء العشر سنوات وقد كنتَ رئيسي!

يقف زملاؤه حوله...

- أنت عيسى أليس كذلك؟

- نعم هذا صحيح.

- وأنتِ منى!

- نعم، كيف عرفت اسمي!

- وأنتِ شذى، كنت تعملين سابقا في قسم المبيعات ثم نقلت إلى هنا، أليس ما أقوله صحيحا؟

- بلى، صحيح ولكن كيف عرفت؟

- (يخاطبه سالم) كل ما قلته صحيح ولكننا نقسم لك بأننا لا نعرفك ولا نتذكر أنك كنت معنا في يوم ما.

- صدقوني هذه هي الحقيقة.

- لا شك في أنك مخطئ، نحن لم نلتقِ بك قبل الآن، أرجوك كف عن إزعاجنا، نحن هنا في مقر عمل.

لا يستطيع التحمل فينفجر غاضبًا...

- أنا أعرفكم وأنتم لا تعرفونني، كيف يكون ذلك؟ ألم تسألوا أنفسكم كيف!

- (عيسى) يبدو أنه مجنون!

- (منى) إنه ليس مجنونًا ولكنه قد يكون مجنونًا!

يطلبون له موظفي الأمن...

- كيف أعرف الناس من حولي وهم لا يعرفونني!

كيف أذكرهم ولا يذكرونني؟

إذا كنت أذكركم فأنا لا بدَّ من أن أكون قد رأيتكم في يوم ما، وأنتم كذلك مثلي، هذه معادلة بسيطة يا سادة!

إذا كنت أعرف الأشياء من حولي فلا بدَّ أن أحدًا علمني إياها!

يخاطبهم وقد تباعدوا عنه خوفًا وقد احتموا بعضهم ببعض...يصل موظفو الأمن فيقبضون عليه ويلقون به خارجًا...

ينفض التراب عن ثيابه ثم يسير بغضب في طريق وحدته الطويل...

- لا بد أن إخوتي ما زالوا يذكرونني، يستحيل عليهم نسياني.

يذهب إليهم مهرولا ...

خالد : من أنت؟

- من أنا؟ ألا تذكرني يا خالد؟ أنا شقيقك باسل.

- شقيقي! ليس لي شقيق بهذا الاسم.

يقتحم المنزل بغضب ورعونة... يصيب أهله الهياج والاضطراب...

خالد : من أنت وماذا تريد؟

بدر : لا بدَّ أنه أحد المجرمين.

خالد : اسمع يا هذا إن فعلت أي حماقة فسوف أضربك فورًا.

ينظر لهم بحنق ثم لا يلبث أن تنتابه نوبة بكاء عارمة...

- لا تخافوا لن أوذيكم، بل يستحيل أن يصيبكم مني أذى.

- أنت شقيقي خالد أليس كذلك؟

- (بغضب) أنا خالد ولكني لست شقيقك!

- أنتِ أختي آمنة.

- صحيح أنا آمنة ولكني لا أعرفك.

- وهذا ابنكِ البكر بديع، أليس كذلك؟

- (باستغراب) بلى، إنه هو!

ثم يلتفت لأصغر أشقائه...

- وأنت أصغر أشقائي وائل.

- أنا وائل مثلما تقول ولكني لم ألتقِ بك قبل اليوم.

- (خالد) اخرج من هنا، وإلا قيدتك بالحبال وطلبت لك الشرطة.

- (ينظر له بعطف ويكلمه بحنو) سأخرج يا أخي، ولكن أرجوك أن لا تغضب مني، فقط أريد منك أن تحقق لي طلبًا قبل مغادرتي.

- (بتثاقل) وما هو؟ قل بسرعة.

- أريد أن أحتضن شقيقي وائل.

يقترب من وائل بخطوات حذرة...

- هل تقبل بأن أعانقك يا أخي؟

ينظر وائل لإخوته فيحثونه بعيونهم على تلبية طلبه... يرتمي باسل في حضنه ويعانقه باكيًا...

- لن أنساك يا أخي، حتى لو نسيتني سيظل حبك في قلبي إلى الأبد.

يذرف وائل بعض الدموع...

- أنا لا أعلم إن كنت أخي أم لا ولكن قلبك الكبير ودموعك النقية تدفعاني للبكاء.

- لا عليك، أقدر ما تشعر به.

ينظر لأشقائه بوجه حزين ودموع ساكبة...

- أحبكم وسأظل كذلك حتى لو نسيتموني لن أنساكم أبدًا.

يخرج هائمًا على وجهه ... يمشي في طرقات مدينته التي يعرفها ولا تعرفه! ينظر للناس من حوله فيشاهد طفله مرة أخرى...

يتقدم منه بخطوات حانية ... يقبل عليه طفله، ينظر له بابتسامة عذبة، لا يتمالك نفسه فيحتضنه بعمق... تهرول إليه أمه غاضبة...

- أنت يا هذا ألم تعاهدني بأن لا تقترب من طفلي؟

ألم توقع تعهدًا في الشرطة بالكف عن ملاحقتنا؟

ما بالك لا تجيب؟ دع ابني!

يستمر في عناقه بصمت تام...

تحاول تخليص ولدها منه دون جدوى...

طفلها غير خائف مما يحدث...

- دعيه يا أمي إنه رجل طيب.

يجتمع الناس حولهم، يسارع البعض إلى تخليص الطفل من حضن والده الذي يسقط صريعًا على الأرض...

- يا إلهي لقد مات الرجل!

ينظر له طفله بتمعن ثم يبكي بكاء حارًّا..

- أمي إنه أبي.

تتأمله فتجده زوجها!

- يا إلهي، إنه زوجي ووالد طفلي!

يحيط به الناس في ذهول...

تحاول زوجته إيقاظه...

- استيقظ يا زوجي الحبيب، استيقظ.

- استيقظ يا أبي.

يبكيان بكاء مرًّا... تحجب السحب أشعة الشمس ليتساقط مطرًا غزيرًا، وكأن السماء أرادت مشاركتهما بكاءه...

تصل سيارة الإسعاف لتنقل جثته الهامدة وسط عويل زوجته وطفله اللذين اختلطت دموعهما عليه بماء المطر، ولكن صدى ندائهما له سبح في الأثير اللامتناهي وبلغ روحه الصاعدة لعالمها الجديد.

الفهرس

إهـــداء	٥
حميــد	٧
الحلم	٢١
الأوهـــام	٣١
عذراء البحيرة	٤٠
عفوًا سيدي الرجل	٥١
شقشقة	٧٠
أشباح النهار	٧٩
قوالب الثلج	٩٢
النار	٩٩
أنـــا	١٠٨
الفهرس	١٢٠